الأستاذة دولت

رواية

محمد نبيل الخربوطلى

اسم الكتاب	الأستاذة دولت (روايـــــة)
المؤلف	محمد نبيل الخربوطلى
دار النشر	دار سما للنشر والتوزيع
التليفون	٠١١١٩٥٧٨٤٢٧ - ٠١١١٣٠٦٨٤٠٩ - ٠١٢٨٤٣١٨٤٤
الطبعة	الأولـــى
العنوان	٣١ ش الإمام - جيزة - جمهورية مصر العربية
رقم الإيداع	٩٢٧٠ - ٢٠١٤
الترقيم الدولى	٩ - ١١ - ٦٣٧٤ - ٩٧٧ - ٩٧٨

محفوظة جميع الحقوق

جميع الحقوق محفوظة للناشر ولا يسمح بنسخ الكتاب أو جزء منه بأي طريقة كانت ورقية أو إلكترونية إلا بإذن كتابى من الناشر

التنسيق والإخراج الفنى: المكتب العربى لخدمة الكتاب والتراث

٠١١١٥٧٤٢٣٠٣ - ٠١٢٢٠٣٧٨١٢٥ - ٠١١٤٥٣٢١٣٨٧

الأستاذة دولت

روايـــة

بقلم : صيدلى

محمد نبيل الخربوطلى

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

(تهنئة)

تهنئة للشعب المصرى العظيم

بـــ.....

ثورة ٢٥ / يناير / ٢٠١١م

وثورة ٣٠ / يونيو / ٢٠١٣م

ويوم ٣ / ٧ / ٢٠١٣م

أُهنئ الشعب المصرى العظيم المناضل بثورة (٢٥/يناير/٢٠١١م) - الثورة المصرية الأم - تلك الثورة التى نالها الشعب المصرى العظيم بكل عظمة واقتدار، بالإيمان بالله وكتبه ورسله، نالها من أجل تصحيح التاريخ وخلع الظالمين عن سدة الحكم.. نالها من أجل عودة المسيرة لمصرنا العظمي، من أجل العدل، الكرامة، الحيات، حقوق الإنسان،

طهارة الحكم، وسيادة القانون.

(ثورة ٢٥/يناير/٢٠١١م).. ثورة الشعب والجيش والشرطة وأجهزة المخابرات، ثورة كل المصريين وضد كل الظالمين.

عاشت مصر القوية الأبية الحرة.

عاشت مصر زعيمة الأمة العربية والإسلامية.

عاشت مصر، الوطن الجميل الصرح العظيم.

وعاشت مصر كلها، لكل المصريين.

وما أن دارت الأيام حتى لحق بنا ضعفٌ ما.. وهذا حدث فى كل ثورات العالم.. فكانت ثورة (٣٠/يونيو/٢٠١٣م) التصحيحية.

ثورة (٣٠/يونيو/٢٠١٣م)، ثورة خلع الضعف والاستبداد والدكتاتورية والخيانة. ثورة من أجل تصحيح ثورة الأمة كلها فى (٢٥/ يناير/٢٠١٣م)، لتخلق... الجديد لاستكمال المسيرة المصرية السابقة.. فليحيا المجد والفخار وليسقط الضعف والظلم الذى خُلع فى (٣٠/يونيو/٢٠١٣م).

ثم جاء اليوم العظيم.. يوم (٣/يوليو/٢٠١٣م) ليفصل بين كل الأحداث وليضع مصر فى الطريق القويمة ويخلق خارطة الطريق المستقل.. ليكون الفارق الأكبر بين ما سبق وإلى كل ما هو قادم..

أن (٣/يوليو/٢٠١٣م) هو اليوم المتمم لليومين التاريخيين، يوم (٢٥/ يناير/٢٠١١م)، ويوم (٣٠/يونيو/٢٠١٣م).

أن يوم (٣/يوليو/٢٠١٣م) هو يوم الملحمة ويوم انتصار مصر على كل ما سبق من استبداد وخيانة، لتحقيق كل أمانى الأمة من أجل المجد والنصر والفخار والرفاهية.

إن يوم (٣/يوليو/٢٠١٣) هو يوم الجيش المصرى العظيم - جيش العبور المجيد - الذى قصم ظهر الفاسد، الخائن، ليحقق كل أمانى الأمة، ليحق الحق ويبطل الباطل ومهما قال المبطلون.

تحية إلى السيد الرئيس المستشار/ عدلى منصور.

تحية إلى المشير/ عبدالفتاح السيسي، البطل الأكبر فى هذا اليوم المشهود العظيم.

تحية إلى المجلس الأعلى للقوات المسلحة.

تحية إلى الشرطة المصرية المجيدة.

تحية إلى أجهزة المخابرات المصرية جميعاً..

تحية إلى بطل مصر الكبير/ المشير/ عبدالفتاح السيسي.

وهو البطل الذى انتظره كل المصريين طوال السنوات الماضية لينتشل مصر من ضياع كاد أن يدمر مصر شعباً ودولة ونظاماً، إلى

بدء الاستقرار الحقيقي، تمكيناً للنهضة الحقيقية، ترسيخاً للدستور، وسيادة القانون.. أن مصر كلها تنتظر اليوم الخالد فى تاريخها، وهو وصوله المشير/ عبدالفتاح السيسي، إلى رئاسة الجمهورية، ليتواصل تنفيذ خارطة الطريق، تحقيقاً لكل أقانيم مصر، عبر العملية السياسية السليمة التى تشهدها مصر من يوم مصر العظيم، يوم (٢٥/يناير/٢٠١١م).

عهد جديد.. نبدأ جميعاً معه..

عاشت مصر الأبية الخالدة وعاش الشعب المصرى العظيم.

صيدلي/ محمد نبيل الخربوطلي

المنصورة/ فى يوم الجمعة

٢٠١٤/٤/٤م

الأستاذة دولت

تعانق العقربان وأصدرت الساعة نغماً فريداً استراحت له الأستاذة دولت، فثبتت نظارتها الطبية الرائقة وأخذت تدور فى حجرتها حتى تمضى الدقائق القليلة على موعد دعارة فى شقتها الكائنة بالطابق الثامن والمطلة على النيل.. لم تكن تعلم لماذا أصر الزبون – وهذه هى التسمية التى تحب أن تطلقها على روادها من الرجال لممارسة الجنس عبر الدعارة – لم تكن تعلم لماذا أصر أن يكون موعده مع صلاة الجمعة فى تمام الساعة الثانية عشرة والربع ظهراً؟!، ولكن طول ممارستها للدعارة أفهمها أن لكل رجل طابع خاص خاصة معها، ويوم الجمعة يوم عمل شاق لأنه يوم الإجازة الرسمية بالدولة.. رشفت آخر رشفة من قهوتها القاتمة وأدارت ألحاظها فى كل الجنبات وهذه هى عادتها عندما تفكر.. الهاجس المرعب لها هو ان يكون دسيسة من بوليس الآداب لأن الأستاذة دولت خرجت من قضية الدعارة التى كادت أن تُحبس من جرّائها بأعجوبة.. كان ذلك منذ

العامين وهذه هى نقطة السواد الحالك فى حياتها..

فحياتها كانت صلبة.. أستاذة بالجامعة، وقد حصلت على الأستاذية فى كلية الإعلام بعد رحلة علمية ذات صيت عالى لأن دولت أسمها فى أروقة المجتمع الخيال.. داهمتها القضية وهى فى الخامسة والأربعين من عمرها لتحول حياتها إلى جحيم.. دعارة.. هكذا قالتها فى بطء وهى تشعل سيجارتها الخامسة منذ استيقاظها منذ الساعة.. دعارة يا دولت(؟!!).. دعارة يا أستاذة.. أشم فى أسامة رائحة الدعارة.. وأسامة هو اسم زبونها فى هذه الظهيرة، ورائحة الدعارة تعنى بها انه يريد الوقيعة بها لأن هذا الموعد ليس موعد الدعارة الطبيعى، لان الليل هو المسرح الحقيقى للعشق والتلاقى وهو فى نفس الوقت سِتار.. وكعادتها، وقبل العمل، وأخذت تمارس طقوسها، وكيف لا وهى نجمة المجتمع الشهيرة التى تسمى الخيال وهى بالفعل الخيال.. خلعت ملابسها وأخذت تدور أمام مرآتها تفحص كل بوصة فى جسدها الناصع وقد ضربته حُمرة الدم الفياض وكساه الدهن نعومة قد غار منها الحرير فغار جسدها فى خِلال الحوريات. عندما مشطت شعرها الأشقر الحريريّ هو الآخر أطلقت كلمتها المفضلة على نفسها.. (الخيال) خاصة بعد أن تمعنت بعينيها

الزرقاوين.. ورغم انها حاولت الابتسامة ولكن ذكريات قضية الدعارة التى نجت منها بأعجوبة أطاحت بالابتسامة لتبقى فى أعماقها المرارة. تلك المرارة التى أخذت فى الآونة الأخيرة تحيل حياتها إلى غدير أسن بلا تدفق.. ترسخ فى نفسها مرارة كلما نظر إليها أحد نظرة العاهرة وهى كانت تريد نظرة الفاجرة (؟!) حياتها تفتقد الى السعادة وكحل عينها هو الانكسار المخفى تحت بريق العبقرية وحِدة النظرة وجبروت الملامح.. أغرقت جسدها بفيض من العطور الداكنة التى إذا ما اخترقت الاحساس نبضت فى الرجال ذلك الشعور الرهيب بالرغبة فى الانجذاب.. والجاذبية هى لعبتها.. وقالت (ليس خسارة فيه.. انه مدير بنك.. وقد دفع العشرة آلاف دولار فى مقابل ساعة الظهيرة).. و(كل شيء له حساب).. الشقة فى طابقها الثامن تشرف على النيل وكل جزء بها ينبض بأدق الجمال وقد دارت على أجزائها ورددت (خيال).. حجرة النوم كل شيء فيها يدعو إلى نوع غريب من الاسترخاء، وإثارة جنسية غير مباشرة، لانها تريد ان تكون هى زهرة المكان وان يضيف اليها المكان لا أن تصنيف هى إلى الجماد.. وبعد الشقة يوجد بعض اللوازم والاحتياطات من مآكل وملبس وبعض الأدوات الجنسية التى تحول الرجل البارد – على حد

زعمها – إلى رجل درجة حرارته السابعة والثلاثين.. ثم تجيء الخيال، أى هى، لتحول كل شيء إلى خيال الخيال – كل كلمة بحساب بل كل رداء من أرديتها البسيطة القليلة جداً بحساب، وقد صرخت ألوانها صراخ الرغبة فتحيى فى الرجل رغبة عارمة دون أدنى حدث ثم تجيء العطور، ثم تجيء الطامة الكبرى وهى شخصية الأستاذة دولت نفسها لانها تعلم كصحفية وكنجمة مجتمع متمرسة فى الدعارة أن الرجل لا يحب ولا يعشق ولا يضاجع الا الشخصية، والشخصية هى مظهر الذات الإنسانية وصفحة النفس.. والأستاذة دولت كما أسمت نفسها.. (أنا لست الخيال فقط أنا الكبرياء الوحيد.. وأنا الجبروت الأكيد.. ثم يأتى منى القديد).

وهى تعترف أنها فاجرة – ولكن هدفها الأسمى ألا تكون فاجرة ولكن أن تكون الفاجرة الأولى فى عالم الفاجرات، وأن تكون الفاجرة الأولى عن استحقاق وكيف لا وهى أشياء كثيرة.. هى أولاً من أسرة كريمة ثرية ووالدها كان يعمل فى السلك الاجتماعى بعد دراسة أكاديمية طويلة وله عدة مؤلفات فى الاجتماع، وأمها من أسرة كبيرة قاهرية كادت أن تلمس الوزارة قبل ثورة ١٩٥٢، ودولت هى الابنة الوحيدة لهذه الأسرة.. وهى هنا تلقب نفسها بصاحبة العصمة

المحافظة وثانياً هى نابغة كلية الإعلام وأصغر دكتوراة وأستاذية، وبذلت من الجهود ما لم يطيقه الرجال من أجل السموق هكذا كانت تسميها.. وأصابت أن تكون الأولى فى دفعتها مرتين وأثارت بكتاباتها الصحفية كل التساؤلات عن (من هذه الخيال؟) وكان أول موضوع كتبت فيه هو (المتنبي) والثانى هو (هملت) وأدركت بحدسها الفريد أن العالم مازال يحب ولكنه لا يجد المال ليحب فلم يعد يحب ولكن إذا واتته الفرصة فلسوف يحب.. وهى بهذا التصنيف الثانى فى قائمة استحقاقها لوصف (الخيال) وضعت العلم قبل الجمال لانها قهرت الرجل بالعلم والشخصية والجسد واستولت عليه تماماً فى السرير ثم حولته بالدعارة إلى تابع ذليل، ولكن دون أن يشعر أنه لا ذليل ولكنه الذليل.. ولانها تدرك ان عظمة الشخصية فى العلم كافحت الليالى الطويلة حتى تكون الفعل لا الاسم فى اللغة، ليس لان قضيتها هى تحرير المرأة ولكن لان قضيتها هى (الأنا) وكل ما ينعش الأنا ويرسخ فيها القوة هو عمق الأنا.. والعلم هو عمق الأنا وهو الذى يعطى للإسان المنعة والمنصب والدرجة الاجتماعية فهوت إلى الكتب تخرج من متونها ما لم يخرجه أقرانها وتضع هذا فى قالبها (الخيال) حتى أنها مازالت حتى الآ تحتفظ فى مكتبتها وأدراجها كتابات الماضى منذ

نعومة الأظفار حتى طلاء الأظفار حتى تقبيل الأظفار.

أدركت أن هذا العلم لابد أن يستخدم فطاحت فى كلية الإعلام حتى إذا ما أنضجت الأنا أعلنتها فى كليتها المتخصصة فتضمن من هنا ذاك الشيء الذى لطالما سيطر على أحلامها ألا وهو (الصيت) ودولت لم تكن موهوبة جماليا فقط ولكنها أدركت من الخلق نعمة الشهر، فمهرت فيه، وأصبحت الخيال خصب إذ طال الخلق والعلم والإبداع فراحت هناك فى ديوان الشعر لتنصب نفسها (الخيال) فكتبت ديوانها الأول وهى فى الجامعة وكان عنوانه أشد النفاق، (أيها الرجل لا تأتي)، فى نفس الوقت الذى كانت قد بدأت تتورط فى أول علاقة جنسية مع أحد أساتذتها الكبار والذى تزوجته فيما بعد وقد لعبت حينها دور الصديقة الشهيرة بعد أن استدرجته إلى فك أزرار ملابسها فى مكتبه فخر الرجل صريعا، وهى لم تخر فقط، ولكنها أوهمته أنها فداء كل الشريفات (؟!!) وهكذا تحولت دولت إلى (الخيال) منذ نعومة أظفارها ولكنها عندما التحقت بالجامعة بدأت ترسخ نفسها إلى الخيال الحقيقى لأنها حولت شخصيتها من مستهلكة للجمال الى مبدعة للجمال وعندما تحول جمال ذهنها إلى شخصية آسرة تخفى شبقها المنحرف (إلي) كل شيء، وعندما أنضجت

كل ذلك بالعزيمة العظيمة رضخ لها كل عالمها فشنت هجومها الأكبر لا على الرجال لان الرجال عبيد لها ولكن على النساء فلم تترك عذراء أم غيرها حتى حرّقت الجميع أما بالعلم أو بالشخصية القوية الآسرة أو بذاك السلاح الرهيب عندما تحل ما بين ثدييها من أزرار على ان يكون ذلك غير متعمد مع قليل من زينة تحول وجهها الرقيق فى لمح البصر إلى وجه المستجدية للجنس، فينهار الجميع وتطلق ابتسامتها الخبيثة فيقع من يقع حتى وقع عميد الكلية وتزوجته وهى فى أولى سنوات التخرج. وهى الزيجة التى فتحت لها كل الطرق والتى تستحقها سواء فى الصحافة أو التليفزيون ومع الفضائيات. ومن قبلها الدرجة الأكاديمية حتى الماجستير والدكتوراة ومع كل ذلك هذه العقلية المتوقدة والموهبة الدافئة التى طورتها الى النثر فى قصصه القصيرة وزينت أسلوبها الصحفى بمسحة أدبية، حتى صار أسلوبها يخبر القارىء عن اسمها قبل امهارها اسمها، وهكذا ترسخت أناها وأطلقت فى كل مكان أنه معبدها.

وعندما تتذكر حيثيات دويها فى بنده الثانى (ثانياً) وهى الحيثيات التى تحفظها عن ظهر قلب، عندما تتذكر هذا البند الثانى لابد ان تذكر حبها الأول وهى التى تلقبه (بالحب الأبتر) لأنها لم تحب بعد

(مجدي). عندما تزوجت من عميد الكلية الذى كان أعزباً بعد طول حياة أنجبت الابن الوحيد لها وهى تعترف أنه نقطة ضعفها لحياتها العاهرة التى عاشتها وقد أنبأته أنها أسمته (مجدي) أيضاً على غرار (مجدي) الأول وهو حبيبها الوحيد.. تذكرت فى هذه اللحظة وهى تهمس بالزينة الى وجهها (مجدي) لانه كان يقول لها دائماً أنت أبرأ وجه فى الملكوت، وكانت تندهش لماذا لم يقل العالم بدلاً من الملكوت. وكان يفسر لها وكانت تنصت.. وعندما تذكرت مجدى أخذتها نفسها إلى مكتبها وفتحت درجها الصغير إلى اليسار وساعتها أخرجت صورة (مجدي).. الملازم (مجدي). وهى صورته بعد أن تخرج إلى الجيش قبل إقامة حائط الصواريخ فى حرب الاستنزاف وشارك فى ملحمة حرب أكتوبر واستشهد فى حرب الدبابات فى تطوير الهجوم.. (مات مجدي) هكذا هتفت وهى تنفت دخان سيجارها الفاخر.

تتذكر هى الآن وهى التى لا تريد أن تتذكر.. تتذكر عندما قالت له وقد تحدت العالم (أنا أحبك) كان عمرها ستة عشر عاماً كان ذلك فى بيته لانها صديقة لاخته، ولكنها فوجئت برده إذ قال (أنت صغيرة على الحب).. المسألة لم تكن كذلك أدركت دولت أن (مجدي) فهم كل اشاراتها الأنثوية فكادت أن تقبله فى أمسية سابقة - كان فارساً

ككل ضباط الجيش وكان فى صورته بهذه القوة وهذا الوجه الصبوح البطل الذى لابد أن يحرز النصر، وهى لا تعترف بالحب دون ممارسة جوهره.. كانت تريد أن تستوعب الفارس ولكن الفارس استعصى ولقنها درساً رهيباً، أدهشها أنها حاولت قتله فى يومٍ ما طعناً بالسكين ولكنها عندما هدأت تحول الفارس إلى معركة، وكانت هذه المعركة هى المعركة الكبرى الأولى فى حياتها. بالتدريج نست وهى تدافع عن نفسها أو عن حبها أن تقاوم الحب، وهى كأنثى كان لابد لها أن تحب فتلاشى الخط الفاصل بين الدفاع والسجية فوقعت فى الهجوم حباً فانهارت، ولم تستطع أن تقاوم وهو يشرح لها معاركه، وهو يقرر لها أن العبور قادم وأن المدرعات ستطير ولسوف نحرر الأرض مهما تحدانا العالم ومهما تواطأت القوى الكبرى.. لم تكن دولت مهزومة فقط ولكنها كانت تنتقل من كتاب إلى كتاب ومن ديوان إلى ديوان ومن سينما إلى سينما ومن مسرح إلى مسرح، ولم تكن تلوى على شيء إلا إلى عيناه (مجدي)، رجولته (مجدي)، رداءه (مجدي)، عندما استولى عليها بالكامل راسلته بالشفاة وبالجسد وبالمصارحة وهى لا تفهم كيف لهذا الفارس ألا يحب هذا الخيال (؟) كيف لهذا الفارس ألا يحب هذه الثائرة المتوحشة التى ينتظرها عصبة من الشباب فى كل طرقاتها (؟!!).

وبعدما صارحته رفض واتهمها بأنها مراهقة، ولكنها لم تتركه وانما طلبت منه طلباً واحداً ان يكون ذلك الحب سراً بينهما حتى لا تُجرح مشاعرها مع أخته (لبني)، وقد كان، وهى تعلم أن (مجدي) ان وعد صدق. غاب عنها أن (لبني) هى الأخرى أنثى وشقية فى سنها، وقد أدركت حبها لأخيها ولكنها فضلت الصمت. راح (مجدي) ليضبط العلاقة بين الصديقتين حتى مات.. عندها، عندما تذكرت هذه الليلة قبلت صورته فى اشتياق لانها تعلم أن مجدى هو الحب الحقيقى فى حياتها وانه ليس فصلاً فى ترويض نَمِرة ولكنه حب حقيقى، حب بكل ما تحمله الكلمة من معنى – حب الكل للكل، وحب الذات إلى الذات وإلى الذات. وكانت الليلة السوداء، عندما انفردت به فى نفس البيت الذى ترتاده زيارةً إلى (لبني) حتى الآن، وفى نفس حجرة نوم (لبني) التى كانت حجرته.. ليلتها صممت (دولت) على تقبيله لانها لا تعترف إلا بلغة القوة، وقوتها فى السلاح الأخير لها معه هى قوة الجنس. ساعتها داهمها فى الظلام بأنه يعلم ان هذا سيتأتى منها، وصدمها بأن قال لها أنه من المحال أن يتزوجها برغم انه أحبها فى بادئ الأمر. وهنا ثارت وهى تربط أسرار ثديها الساحر بالأزرار وسألته لماذا؟.

قال لها فى صوت ثابت (لأنك رقيعة). كانت ساعتها فى السابعة

عشرة من عمرها وفى عنفوان التمرد وهنا قالت له الكلمة التى لم تقلها فى مثل هذه الجرأة (أحبك) وكررها (رقيعة)، انهارت نصف ساعة بكاءً.. كانت قد أدركت بذكائها كل شيء، لم تكن قد نضجت بعد ولكن الكلمة أنضجتها عدة سنوات فى التو.. كانت تسكب دموعها على قلبه فى الحين الذى تفكر فيه.. كانت تعلم فعلاً أنها رقيعة وانها تود ذلك وانها لن تحترم فى طريقها إلى الرقاعة أى قوة وأن ممارستها الجنس ستنفجر فى لحظة تريدها مع من تختاره وان جمالها الفينوسى سوف يُخضع لها من تريد أن تمارس معه الحب، وانه هو من أدركت فيه الحب. أدركت وهى مازالت بعد فى هذه السن الصغيرة، أن حبها الحقيقى الأول قد اختلط بسجيتها، وان الانفجار الذى حدث فى حياتها مع الطمث هو انفجار توقعته لان هذه الأجساد لابد لها أن تلتقى، وكما تريد، وهكذا التقى القلب والجسد، كادت ان تقول له كل شيء.. عن رغبتها فيه، وأن هذا حق طبيعى لهما فى الحياة، وان عذريتها لن تمنع ولن تمانع فى أن يقطف ثمار نضجها وحبها له، ذلك الحب الذى حولها الى مقاتلة قبل الآوان وأنضجها عدة سنوات قبل العشرين فإذا هى فوق العشرين..

كادت أن تهاجم عارية وتورطه فى أى شيء يدين هذا الصنم

البارد ولكنها كانت تعلم أن (مجدي) ليس من هذا الصنف الذى يخاف.. كادت أن تتحدث عن الطموح والدراسة وليلى ومجنونها ولكنها أدركت ان الطريق مسدود، وأن أى محاولة منها لاستباق الحب بالجنس ستُرفض، وأن أى محاولة مهما كانت مجنونة محمومة من أجل أن تلتقى الأجساد فى لقاءات متجردة بأن يكون لقائها للقاء لن تفوز منه بأى مقدار من الاحترام أو أى مقدار من الانتصار فى معركتها ضده، وهنا كان البكاء رهيبا لان الهزيمة مدوية، وفقده، يعنى نهاية الحياة..

كان رؤوفا بها وبسنها وفاجأها (أنت مازلت صغيرة يا دولت.. وساحرة).

- ولكنك قلت عنى رقيعة (؟!!).

- أنت كذلك يا مجرمة.

- لا تحاول أن تقول أننى لم أؤثر عليك.

- أنت لك تأثير جنونى على كل رجل.

- أنا الخيال..

- أنت الخيال.

- أنا ناضجة..

- وناضجة.

- لماذا تعاملنى بهذا الجفاء؟ أنا قلت لك أننى أحبك.. ماذا استطيع أن أفعل أكثر من ذلك؟

- أنت رقيعة ولم تفهمى هديتى إليك؟

- لا، أنا فهمك.. هديتك كانت قطار كهربائى صغير به ستة عربات.

- لانك لا تحضرين إلى لبنى فى مواعيدك.

- ولأننى لا أسير فى الطريق المستقيم.

- أنت مازلت فى مقتبل العمر.

- لا تقل أكثر من ذلك.. أريد فقط أن أسألك وأنا فى السابعة عشر من عمرى هل أحببتنى؟

- نعم.

- لماذا إذن لا تقترب منى.. الرجل ظالم.. أنت تتهمنى هذا الاتهام لأننى قلت لك أننى أحبك ولأننى حاولت أن ألمس شفتيك ولو مرة واحدة؟

- ماذا تنوين القول بعد ذلك؟

- ماذا تريد أنت أن تقول؟

- أنت فعلاً الخيال.. وأنت كدت أن تكونين حباً حقيقياً فى حياتى ولكنك رقيعة يا دولت.

- ماذا يعنى ذلك؟

- شرفى لن يكون فى أمان معك.

- هذا هو الموت.

- هذه حقيقة.. أنا رجل وأنت فى خطر.

- أنا لن أدافع عن نفسى ولكننى سأكون فى قوتى.. أنا أحبك، وأنت ظالم، ربما تكون أخرى فى حياتك وربما يكون ظلمك، وكيف لك بأن تتهمنى بأننى غير شريفة لأننى أخطأت وأردت أن أفصح لك عن مشاعرى.

- أنت رقيعة وهذا كل شيء. لا تعتقدين ان سحرك سوف يسحرنى. أنا ضابط بالجيش ومستعد للموت من أجل معركة التحرير.

- رقيعة يا (مجدي) (؟!!)، لن أدعوك إلى الفراش ولكن سأدعوك إلى أن تنال ما تريده منى ولو حتى بالكلام.

- أنا رجل.

- أنا لمست فيك الرغبة.

- تحاولين استدراجى الى شركك.

- لا.. أحاول أن أخلصك من رغبتك بالافصاح.

- ساحرة.. أنت مجرد ساحرة، ولكن فى قالب رهيب وعقل متوقد وشخصية داكنة.. أنت خطر يا دولت خطر على نفسك.. أنت تثيرين فى كل الرجال الرغبة وتدعين أنك بريئة لأن أثارتك للرجال

تلقائية ودون بذل مجهود وهذا ما يجعلك (الخيال).

- أنا الخيال وسأظل الخيال ولسوف أحول نفسى إلى الخيال. ولكن قل لى فقط فى هذا اللقاء الأخير هل تحبنى أم لا؟، يكفينى بما تعرفه وأعرفه أنك أحبتنى حباً حقيقياً، وأن هذا الحب لا يمكن أن ينفصل عن الفراش. نحن بشر وهذه من طبيعتنا.. الحب مقدس قاهر ولن أسمح لأحد فى أن ينتهك رغباتى، ورغبتى هى التى أحددها أنا.. حبى لك مقدس لأن الحب مقدس ولسوف اختلف مع كل العالم أو الملكوت كما تسميه إذا ما خالفنى فى حبى.

- أنت تدافعين عن الفكرة لأن الفكرة تحولت إلى أساس فى ذاتك فاختلطت بك.. أنت تدافعين عن ذاتك، عن حريتك المزعومة التى هى عندى الآن، وعن قداسة حبك والذى هو معى الآن، ولكنه بعد فترة وجيزة وبعد أن يرتوى سيتحول إلى أى أحد حتى إلى البواب فى الشارع.

- لو أحببت البواب سأجوب معه الدنيا.

- أنت الشيء الرهيب فى حياتى.. زلزلتيننى.. عمرك ليس السابعة عشرة.. أنت فوق العشرين وأنوثتك ممزوجة بأنوثة النساء مدفونة بخيال العذارى تود أن تنطلق وكل هذا فى قالب من الخيال.. أنت فعلاً الخيال..

- أنا الخيال يا مجدى.. والجمال..أنا كل أفنان الشجر ومعه الخيال.. عيناى فى الأفق ترنو إلى المحال.. أتعلم لماذا؟ لاننى الخيال ثم الخيال..

- أنت كل شيء.. أنت كل النساء.. أنت نظرة واحدة اختصرت عيون النساء.

- لأننى الخيال.

- لأنك الغرور الذى دفن فى النفاق.

- لأننى الخيال..

- لأن حريتك تحولت إلى ذنوب.

- لم يلمسنى أحد ولن يلمسنى أحد.

- ولأن الذنوب تتحول فى الإنسان المتعمدها الى كِبر لا كبرياء.

- لا أفهم كلامك.

- تفهمين.. أنت باطشة داكنة.. رهيبة مغامرة.. خيال فى خيال.. ثوابتك كلها تحولت إلى بطش من نوع أفعوانى نادر متسلط سيدمرك ولكنه قبل أن يدمرك سيدمر كل من تعاديهم، وكل بطشك سيتحول أن تفرضين أفكارك إلى مقدسات وهى ليست بالمقدسات وكل مقدساتك هى الحرية وكل الحريات سوف تبعدك عن الله.

- أنا لا أحب الله..

- ولوسف تتحول كل حرياتك إلى ذنوب والذنوب إلى أفكار والأفكار إلى بطش.. دائرة من الجحيم ولكن فى النهاية سيتحول كل شيء إلى تحد إلى الله فى أسلوبك الذى سيجعل منك (الخيال) (فينوس)، وساعتها سيتحول كل ما يخرج منك إلى مقدس، أى إلى الأنا، وهنا ستتحول الأفكار إلى آلآءولن تنفصل عنك لانها ستصبح جزءاً منك وكل ذلك سيتحول إلى كبر لماذا يا دولت؟ لأن الله خلقنا هكذا؟ وهذا هو الشيء الذى لن تستطيعين تجاوزه، وهو أن الله موجود.

- وأنا أيضاً موجودة.

- لأن الله أرادك أن تكونى موجودة ولأن وجودك لن يمس الوجود الإلهى العظيم.

- أنا لا أريد أن أمس الوجود الإلهى العظيم.

- ولكنك بعد عدة سنوات ستبارزيه لا بالمعاصى ولكن بالتحدى.

- ولماذا لا نتحدى الله؟

- هذا جنون.

- هذه عبقرية.. إبليس رفض.. والله سمح له بأن يرفض أوامره وانت والمجتمع والرجل يريد أ يفرض عليّ قيوده.

- هذا هو طريق اللا توبة.

- وما هو طريق اللا توبة؟

- هو طريق التحدى.. الله خلقنا بهذا ولهذا النمط.. كل من يتحدى الله لا يجعل الله له نصيباً فى السعادة لأن هذه هى طبيعة الخلق ولن نستطيع أن نطول السماء أو أن نخرق الأرض لاننا ضعفاء ولان كل من يتحدى الله فهو هالك.

- دعنى وشأنى.

- الذنوب تحولت فيك إلى حرية، وهى مجرد فكرة تبريرية لممارسة الذنوب، والذنوب تحولت إلى فكر وهو فكر أن تكونين مقدسة ورغباتك حب، والحب لانه إليك لا منك مقدس ولهذا لابد ان تفتح له الأبواب وكل ذلك تحول فيك إلى عمق الأنا، والأنا وكل ذلك يدفعه طبيعة الله فى خلقه لنا إلى كبر لا كبرياء أتعلمين لماذا يا دولت؟ للتحدى لا للذنوب لاننا كلنا نذنب ولكن الذى يصر على ذنوبه تتحول إلى تحدى لأنه أدمنها والذى يتحدى لابد ان يتكبر، وأنت (الخيال) وشهوتك ستحولك إلى ماخور، وكبرك سوف يمانع فى العودة إلى الله وساعتها ستكونين العار يا دولت وأنت هذا الخيال..

- أنا أود أن أكون فاسقة.. هذا قرارى.. هذه حريتى.. هذا حبى

الأكبر.. وأنا لا أريد أن أعبد الله.. والله خيرّ الخلق فى الكفر والايمان لا فى الذنوب واللا ذنوب.. وأنا أحبك وحبك هو ندمى الأكبر وهو عارى الحقيقى لا لأننى أدعوك إلى الفراش ولكن لأنك تحول أفكارى إلى دنس لانها تصطدم مع أوامر الله.. خذ جنة الله يا (مجدي) يا حبيب العمر يا من لم أحب مثله ولن أحب مثله وأعطنى ما أريد. ولكن لا تنسى أن تهبنى جهنم وبئس المصير..

- يا ساحرة..

- إن كان الطريق إلى حبى هو السحر سأتعلمه، ولكن طريقى إليك مسدود بالله، وأنا لا أريد الله.. تذكر أن دولت ستصل إلى أن تكون أقرب شيء إلى المعبودية وساعتها ستخسر، ستشعر بالخسران، لانك فقدت كل شيء فى دولت، الشخصية قبل الشفاة والذهن قبل الجسد..

- أنت ساحرة.. ناضجة.. أعشقك حينما تثورين وعندما تدافعين عن رأيك.. عن ذاتك..

- عن الأنا..

- عن شهواتك..

- ولكنى أرفضك.. قبل أن ترفضنى أكثر، ولكنه الرفض الذى لا يعنى الرفض ولكنه يعنى الذكاء.

- الدهاء.

- وقطارك؟

- حطميه.

- سأحتفظ منه بعربة واحدة كتذكار وهكذا لابد ان أعطيك تذكار..

- ما هو؟

- سأمنحك أعظم شيء فى الوجود.. سأقبل يدك.. ليكن ذنب صغير ولتحج بعده حتى يغفر لك الله، ولكن هذا التذكار سيكون أعظم لحظة فى حياتى لأننى سأمسك برضاك.

أطلقت دولت دخانها فى حجرة مكتبها وهى تتذكر هذه اللحظة الجميلة فى حياتها لأن (مجدي) فاجأها بأن قبّل رأسها.. ولكنها رفضت وأرادت جبهتها ورفض وبعد الإصرار أخذت يمناه بين يديها وقبلتها وهى تردد مبتسمة.

- أمرك يا مولاى..

لن تنسى الأستاذة دولت ابتسامته لأنها كانت الابتسامة الأخيرة بينهما فى آخر لقاء خاص، ذاك اللقاء الذى أوشكت بعده على الانتحار بمجرد أن ولجت إلى حجرتها الفاخرة، وهذا هو اليوم الذى تحدده فى تاريخها ببداية إدمانها للعادة السرية من أجل أن تحول تيارها

الذهنى من حب فاشل إلى استهلاك الحب. وهو ما حول حبها لا إلى حب أسطورى بين مراهقة وفارس ولكن بين أنثى وذكر. هكذا تحول حبها إلى مسكن يبث فيها الرغبة فتوطد على مر الزمان وصار حب (مجدي) فيها هو الذكريات الأولى فى كل شيء حتى فى الخيال فأسر منها الخيال.. عندما سقط فى معركة الدبابات شهيداً كان يوم سعادتها وحزنها لانها فقدت فى هذا اليوم الفيلسوف لا الواعظ الذى كانت تلتمس منه كل عدة أسابيع نظرة تسكن بها نداء النفس حباً، ونداء الجسد شهوة، هو البركان كما اسمتها فى مذكراتها التى مزقتها حتى لا يقرأها ابنها (مجدي)، وبفقدها لهذا الفيلسوف فُتح الطريق لقلبها للحب ولكنها فشلت حتى جاء زواجها بالعميد، كتأكيد على أن مجدى لم يعد الفيلسوف ولكنه الحلم الذى لم تستطع أن تطوله، وهو ذلك الحلم الذى تحول فى طريق لا شعورى إلى الجزء من الأنا عندما كانت تريد السعادة فى كنف شخصيتها عادت إلى ربوع الكون الهادىء (كلبني) أخت (مجدي) انسانة عادية أو حتى صاحبة صيت لا مثل الاستاذة دولت (الخيال). وكثيراً ما حاولت ذلك عندما كانت تريد الفوز (بمجدي) ولكنها فى لحظات الاقتراب تنظر إلى الأفق فترتطم عيناها بالسماء فتهتف فى شوق دفين وقد اختفى

فى صوتها الانثوى مخطابة الله وقد ازدان صوتها بالوقار (الله).. (لا). وهما كلمتان تختصران ذلك الصراع الرهيب الذى دار فى داخلها لانها ادركت ان كل صراعها مع الله وليس مع عباد الله وأن ممارستها للدعارة فيما بعد كتطور منطقى لانفجار الشهوة التى ولدت منفجرة بفعل اهتماماتها انما جاء فى اطار منطقى لانها لا تمارس الدعارة وإنما تمارس نوعاً غريباً من الجنس والتصلت والتربح والسحق والتمتع..

هذا تطور منطقى لافكارها وهذا لم يتعارض مع أفكارها لانها رأت أن من ينال هذا الجسد لابد له أن يرضخ وأن رضوخ الرجل يختلف عن رضوخ المرأة وأن الرجل يرضخ لقوة أوهى منه، وهذه القوة ليست هى جسد دولت (الخيال)، ولكنها قوتها كلها، وهذا هو التسلسل المنطقى للتطبيق والاستفادة من الشهرة والواسعة التى حققتها، فأدركت السلطة كما تحبها الشهرة والمكانة الاجتماعية وممارسة الشهوة التى لا تنتهى والمال. كل ذلك فى محاولة دؤوبة للنيل من حب الماضى بحب جديد فى عالم تصنعه هى فتارة توشك على النجاح، وتارة تفشل ولكن فى النهاية كانت الحصيلة زواج وانجاب (لمجدي) الابن ثم وفاة الزوج بعد أربعة أعوام فقط من الزواج. هذه الوفاة التى صدمتها لانه كان ضعيف جنسياً، ثم زواج

واحد فقط تالى بعد الوفاة بعام ثم طالق بعده بنصف عام. هكذا تفرغت للعلاقات المحمومة مع كل رجل يسقط فى الإعجاب بها لتُكون شبكة من العلاقات العامة الخاصة حتى ان التحقت بالدعارة المنظمة فى سن الثلاثين فحققت كل شيء وفشلت فى تحصيل الحب، فبقى (مجدي) طوداً شامخاً فى حياتها لا يلهمها الحب الرومانسى من فارس فقط ولكنه مازال يبعث بها ذكريات العذرية فى عادتها الرهيبة فيحيل نسيانها له إلى أثر بعد عين. ومع كل ما سبق فمازال (مجدي) الابن هو نقطة الحزن الأعظم فى حياتها لانه فارقها بعد أن أدرك فيها الفساد، حاولت أن تقنعه بأن هذه هى حياتها الخاصة فعاش معها حين تضع فاذا ما داهمتها القضية التى أطاحت بها من المجتمع والجامعة وحولتها إلى عاهرة مع وقف التنفيذ. حتى اذا ما داهمتها القضية، فرقت بينها وبين ابنها الى الابد فانفصل عنها نهائياً وهو مازال فى الثانية والعشرين، بعد ان اكمل دراسته، وقد تولاه عمه مريداً نهب ثروته، ولكنه سرعان ما استفاق فبدأ يشق حياته بعيداً عن الناس منكراً انه ابن العاهرة دولت رغم ان اسمها منذ عدة سنوات فقط كان كفيلاً بأن يُفَتحّ امامه كل الأبواب المغلقة، ولكنه الآن مصدر اشفاق عليه، لان المجتمع الذى عاش يقرأ للأستاذة دولت

مقالات فى تحرير الإنسان بفلسفة دولتية راقية مزادانة بالشعر، والمجتمع الذى تابع الأستاذة وهى تشن أشد الحملات الصحفية ضد اللصوص وكبار رجال المجتمع والفنانين، والمجتمع الذى كرمها بالاستاذية بالجامعة وكادت أن تحصل على أصغر أستاذة بمصر، والمجتمع الذى تابع برامجها الإعلامية فى التليفزيون، لم يقتنع بأن الأستاذة دولت، والتى أطلق عليها (لولو)، بريئة من قضية الدعارة التى انجاها منها رجل أعمال كبير يسمى (سميح). كانت الفرصة متاحة لكل أعدائها ممن تعرضوا لقلمها بأن ينسجوا حولها الحقيقة، حتى سقطت من أعين الجميع الذى صب عليها حمم غضبه ولقبها (بلولو المنافقة). هذا ما أسقطها أكثر فى ذكرياتها وحياتها الخاصة، وبالطبع إلى الشهيد (مجدي)، وإلى محاولاتها المستحيلة للوصول إلى قلب الحب، ورغم كل قصائدها عن الحب، ألا أن الرجال انفضوا عنها مرتين مرة لانها كانت تمارس التسلط حتى ضد النساء، فكانوا ينسجون شباكهم حولها فاذا ما انتهت، ضاجعت فطار الحب من المهاد الى الجسد للجسد، وهذا ما لا تريده لانها تعلم الحب الحقيقى لا من تجربتها الأولى والأخيرة فقط ولكن لانها تملك القدرة على ان تميز بين نبض القلب وضرباته وبين نظرة الحب ونظرة الشبق

إلى (الخيال) عبر الأَسرّة. والمرة الثانية التى انفض عنها الرجال كان بعد القضية لانه لا يوجد رجل واحد يستطيع ان يتزوجها بعد كل هذه الفضائح، فكانت إن وقعت فى الإصرار على ممارسة حقها الذى شرّعته فى إتيان الرجال شهوة وممارسةً عبر كل الطرق خاصة الدعارة كانتقام منهم من أجل الحصول على المال لانهم لا يستحقون من وجهة نظرها الحب للحب، أو الجنس للجنس دون مقابل.. ونهاية المطاف، إنهارت قواها.. رغم انفلاتها من الادانة فى قضية الدعارة فى الحصول على حلم العمر، وهو الحب، بل انغمست فى علاقة الرجل الوحيد الذى مد يده إليها وأخرجها من الوهدة الرهيبة وهو (سميح)، الذى اراد أن يسيطر عليها لانه أحبها حباً جنونياً، وعشق معها هذه المعركة على ألاّ يستحقها غيره. وأدركت فيه الحب فبايعته على ان تكون له وحده حتى اذا ما انفلتت من القضية حتى راحت إلى حياتها السابقة تدريجياً، فضاع منها ابنها اكثر ولكن (سميح) مازال يتربص بها لان حبه لها قد امتلأ تماماً.. عندما وصلت الى (سميح) وصورته على مكتبها الذى مازال انيقاً تذكرت الاطلال فقالت (رحم الله الهوي) وضحكت ضحكة بائسة ساخرة فقد جعلته أضحوكة عندما عادت إلى علاقاتها الجنسية خاصة فى الدعارة ولم ترتعد من

تهديداته لها، لانها كانت تعلم انها تهديدات من وراء القلب، وقد أوصلت اليه فكرة مفادها انها بعد فراق ابنها لها وهو الجزء الثانى فى أناها بعد الشهيد (مجدي) أصبحت وحيدة وانها حتما صائرة إليه فقط ليتحمل عنادها تارة أخرى، وقد كان. دق الباب فتنفست الصعداء (أخيراً جاء)، وفى لمح البصر استعدت للعمل فانتعشت.. سارت إليه بعد أن أغلقت أدراج الذكريات وأطلقت قبلة أمومية رائعة إلى صورة ابنها (مجدي).

أصبحت خبيرة كيف تتعامل فى مثل هذه المواقف لان الرجل فى البداية يكابد شهوته لان الدعارة المنظمة موقوتة، لان الرجال هنا يتعاملون مع أنثوات مهمات لهن مواعيد ومقابلات وهو من أجل أن يصل إلى مبغاه يدفع آلاف الجنيهات والدولارات.. وهى لم تكن لتجهد نفسها فى هذه الجولة من اللقاء لأن (الخيال) طريقه سهل فى تذويب الجليد والوصول بمرحلة التعارف إلى مرحلة الحميمية وفى وقت قصير.. فتحت الباب ولأول وهلة أدركت انها قد رأت هذا الرجل منذ زمن مضى ولكن أين؟ هذا ما ستعلمه..

- صباح الخير.

- صباح الخير..

ولم يفته ان يقبل يمناها بشغف، فبادرته بضحكة رقيقة، وهنا شعرت ان الجولة الأولى لن تمتد إلا إلى دقائق.. كانت تحفظ الخطوات، ولكن الأستاذة دولت ليست بالتى تمارس الجنس بآلية فهى تمارس ما أسمته (فلسفة الجنس). كانت تدرك قوتها ونفاذية حضورها فيمن تتعامل معه، وهى تريد أن تكون الانثى المميزة فى حياة كل رجل والانثى الأولى اذا ما قد قابلها رجل والانثى الأخيرة فى سرير كل من تضاجعه من رجال ليس لان هذا من فنون الدعارة وأسرارها وحفظ مواردها ولكن لان الأستاذة دولت هى (الخيال).. كان ردائها القليل الأجزاء كفيل بأن يحول هذا الرجل الى وحش كاسر ولكنها أدركت انه راقى وانها يجب ان تبنى معه علاقة وان تعلم منه متى رآها، وقرأ فى عينيها الأسئلة فاقترب منها وقبل يدها أخرى.

- أعلم أن ذكاءك أوصلك إلى السؤال متى رأيتينيى من قبل؟

- أكاد أصل إلى عشرين عاماً قد مضت.

- أنا أسامة وأنت العذاب.

وهنا ضحكت ضحكتها الشهيرة الكاملة الأنوثة المميلة لقلوب الرجال وأحاطت عنقه بيديها فى تلقائية محسوبة.

- أسامة جابر أليس كذلك؟

- ربع قرن يا دولت يا مجرمة.

- كنت دائماً تقول لى هذه الكلمة ونحن فى مجموعة الجامعة، ولكن لماذا العذاب؟

- لا وقت يا دولت.

- مع دولت ما تريده.. دعك من الوقت يا أسامة سأمنحك ساعة أخرى ولكن قل لى لماذا العذاب؟

- أنا لست خائفاً على مالى.. كلى فداك، ولكنها لوعة الوصول إليك.. إلى (الخيال)..

- مازلت على عهدك.. أنت مدير بنك الآن؟

- نعم..

- وتريد الوصول إلى دولت.

- حب كل الماضى.. أنت من أخرّت زواجى لاننى لم أجد مثيلتك أو حتى من هى من تستطيع أن تُقارن بك.

- أنا الخيال يا أسامة.

- كنت دائماً تقولين ذلك ولم أصدقك ولكن الأيام أثبتت أنك فعلاً الخيال..

- والسنوات؟

- أزادتك روعة يا دولت.
- وأنت أيضاً.. الشعر الأبيض جعلك أكثر جاذبية.
- حتى أكون جديراً بأن ألمس هذا الخيال.
- حلم العمر؟
- كل العمر.
- أراك وكأنى أراك من نافذة الزمن.
- أنا لن أقوى على الصمود أمامك يا دولت.
- أرى فى عينيك سؤال.. أرى فى عينيك حزن.
- حسرة.
- على أى شيء؟
- علينا.
- هذه حياتى.
- كان المفروض ان نلتقى فى ظروف أجمل من ذلك.
- كل الأيام الجميلة.
- أنا أعلم أنك حزينة.
- القضية.
- كسرتك؟

- حطمتنى.. أنا أعيش على ضفاف النيل ولا أراه.

- فى عينيك كل الحزن.

- (فى عينيك كل الحزن).. رددتها وهى تنظر إليه وقد فردت إليه يديها.. تقدم إليها.. قبلته قبلة مرحة.. وقالت وهى تقاوم.

- لا تذكرنى بالحزن.

- هذا أجمل يوم فى حياتى (تقبله).

- وهذا من أسعد أيام الخيال.. ولكنى أرى فى عينيك حزنا من نوع آخر.

- حزن الحزين على أبيات الشعر التى مضت.

- كنت تحبنى.

- أنت مازلت حبى الوحيد.. الخيال..

- تعال نسكر يا أسامة.

- ليس الآن.

- ماذا تريد...؟

- أريد الشيء الذى راهنتينى عليه.

- أنت مجنون.

- سأركع لك يا حبى الوحيد.

- بعد ربع قرن يا أسامة.. وبعد حب جنونيّ تأتى إليّ عبر الدعارة وأنت كنت فى عينى من أوفى الأصدقاء.

- أنت تحديتينى أن أرجع لك فى يوم من الأيام وأنا رفضت.

- كنا نمزح.

- لا يا مجرمة.. برغم كل السنوات مازلت أذكر.. أنت أنت.. لم تتغيرين.. (الخيال).. كلنا ننكسر يا دولت وأنت خرجت من المحنة بلا إدانة وقد بدأت مجموعات من المجتمع تتفاعل معك مثل الماضى.

- أنا جريحة يا أسامة ولكن ليس للقضية ولكن لان مجتمعنا المزعوم ليس له الحق فى أن يحاكمنى.. أنا أمارس حقى فى أن أعيش كما أريد ولم أفرض على أحد أن يجيىء إليّ أو أن يدفع فى مقابل أن يقابل (الخيال) ولكنها قضيتى وأنا لا أريد أن أشغلك بها.

- المجتمع.. زوجتى.. أولادى.. زملائى فى البنك.. قيود.. ولكن فى النهاية عندما نريد أن نعيش أجمل لحظات الحياة نعود إلى الماضى لانه الصبا يا دولت.. ما أجمل الصبا والشباب.

- لا لانه الشباب ولكن لانه الانطلاق بلا مسئوليات.

- ما أجملك فى شبابك.

- فى شبابى (؟!!) أنا لم أكبر بعد.. ولن أكبر.

- أتعلمين لماذا لن تكبرين يا دولت؟.. لانك الخيال.. والخيال دائماً شباب.

- أسامة (؟!!) انت تحبنى.

- أنا أعبدك..

- ولكن فى عينيك الماضى.

- حبك القديم.. انت من قلتى لى ذلك وأنا أصارحك لو لم يكن قد مات لكنت قاتله.

- أنا أعلم أنك متهور.. ولكن مازال فى عينيك الحزن.

- حزن السنين.

- أنت بعثت فى عمرى تدفق الشباب.. ذكريات العمر المجسدة.

- اليوم يدعونا إلى شيىء أخطر من العناق.

- الذكرى.

- ممارسة الذكريات.

- إجبار الزمن إلى الرجوع دهراً.

- ممارسة الحب لا العناق.

- ولكنك دفعت.

- هذا جزء من ركوعى لك.

- لا.. ستأخذ المال.. ما بيننا أهم من المال..

تدخل إلى غرفة النوم وتخرج رزمته المالية الخضراء وتناديه من خلف الباب.. (تعالي) فيدخل وهو ينظر نظرات حلم السنين..

- لحظات يا دولت ويجمعنا سرير واحد.. (يأخذ المال).
- لا ترتشى مرة أخرى من أجل أن تضاجعنى.
- واللا هى حصل.. انا لست غنيا إلى هذه الدرجة.
- الحب؟
- الحب.
- الشبق؟
- الرهيب.
- تنفيذ الخيال يا مراهق.
- أنت مجرمة..
- أناديك.
- حزينة.
- صببت فوق رأسى حميم الذكريات.
- ذكرتك بحبك.
- أنت سخيف.

- لا تحاولى أن تخففى الموقف عليّ.. أنا ارتشيت من أجل هذه اللحظات ومن الممكن ان أفعل أكثر من ذلك من أجل أن أراك.

إنه ليس الحب يا دولت.. انت الحياة.. خذينى فى مملكتك ضيفاً.. أتمنى ألا ألمسك ولكن رغبتى العارمة فى أن احتويك.. فاقت كل شيء ولا تقولين أنك تحبينى ولكن ما بيننا شيء فى رصانة الحب ولوعة الأشتياق انه الزمن..

- تريد ان تكون المستحيل.

- أريد أن نعترف بالحقيقة لان لقاءنا لن يغير من الموقف.

- أنا مازلت أحب (مجدي).

- وأنا سأظل أحبك.. ولسوف أفجر قلبك عندما أقول لك أنك فى حزن مطبق ولسوف أصرف عنك الحزن.

- كيف؟

- نذوب.. كما يذوب العاشقون.

- حركت قلبى أعدتنى إلى أيام الصبا.. الرغبة تجتاحنى.

- معه.

- ستكون معك رغما عن دولت القذرة.

- يا مجنونة.

- أركع.. لانك اليوم فقط ستكتمل الرجولة.

- سيجارة وكأس ومال ودولت.

- دولت قبل الجميع.. قبل السيجارة والخمر والمال.

- فينوس.

- لابد ان تركع لهذا الخيال.. عارية.

- لابد.

كانا قد وصلا الى قمة الرغبة فطوحت فى ذكاء بملابسها وانقضت عليه تزيل ملابسه ثم تلبسه روباً رقيقاً.

- سيدتى – يا خيالاً دائماً.. دعينى أقول لك الكلمة التى حاولت سنوات شبابى قولها لك بينما أركع لهذا الخيال النادر (يركع..).. أحبك..

وكان الشيء الرهيب.. كانت تعلم ان الرجل فى الفراش يأخذ ويعطى ولكن عنفوان رغبتها كان يأخذها من موقف إلى موقف.

كانت تريد أن تنسيه كل النساء ولكنها كانت تعلم أن رغبتها اذا ما اندلعت مع الخمر فلن يوقف شذوذها شيء. كانت تريد الوقوف معه إلى كل شيء عدا الشذوذ حتى تحفظ بعض الاحترام بينهما وقد أدركت فيه أنه يغوص إلى الشذوذ فأدركت أنه متيم بالنساء وأنها لن تستطيع أن تصمد أمامه فسكبت خمرها على خيالها وأطلقت

لنفسها العنان فى أن تمارس ما تحب لا الشهوة ولكن جنون الشهوة، وان تخرج من بين جنبيه كل النساء، بالذات زوجه، حتى تعيد امتلاكها للحب. وقد كان.. لم يكن اللقاء جنسياً بل كان إعادة تنفيذ ذكريات الصبا والشباب، فساسته حتى امتلكته وعندما امتلكته امتلكها وهنا انفجرا وانطلق الجنون من معاقله فادركا الشذوذ.

سقطت تدريجياً الحواجز فشعرا انهما ما افترقا وان الزمن يمكن ان يعود اذا جاء إليها مرة أخرى وهى على أتم استعداد أن تستقبله لانه الوحيد من مجموعة الماضى الذى جاء إليها ففجّر فيها حزنا إلى حزن أزاح رغم متعتها الجسدية جزءاً غير قليل من متعتها النفسية، لان أسامة بعث فيها الماضى كله إلى الحياة وعندما يعود الماضى سيظل مجدى فى صلب الأنا ولكن الذى يحدث عندما يعود مجدى ليس مجدى ولكنه ذاك الحديث الطويل عن الذنوب الذى يحيل حياتها إلى جحيم، لانها ما تزال لم تستطع أن تزيل فكرة الوجود الآلهى من حياتها، ومع الحديث عن الذنوب الحديث عن الحب ثم تسحقها فكرتها الأصلية انها بلا حب وانها تعيسة بهذه الذكرى التى حرمتها من الحب لدى مجدى وحربه واستشهاده فى داخل تكوينها. لم تجد رجلاً يبعث فيها هذه الروح الرهيبة التى كانت

تبعثها حضرة مجدى وانتهى المطاف إلى الحقيقة.. وهى انها بعد كل هذه السنوات مازالت محرومة من السعادة وانها لن تكف عن سعيها الدءوب فى البحث عن الحب ولكن حقيقة موقفها الآن أنها أم مفارقة وأنها التقت بجزء عزيز من الماضى أنعش الأنا فتولدت فى داخلها تيارات شجن رهيبة تبحث فى رغبة عارمة عن الحب.. عندما كانت تُعتصر كأنها لم تعطه المال طفت ببصرها فى ملابسها المتناثرة تود أن تلملها فتستر نفسها ربما تجد فى يومها الحب بعد أن أوصلها لقاء أسامة بها، إلا أنها لابد ان تستعيد عرشها سعادة بأن تجد من تحب ولكن فى هذه اللحظة من طيف عينيها داهمها بأن لواها فصرخت متألمة وعلى الفور أدركت أنه يشرف أ يكون سادياً نفسياً فأدركت أنه سيكون اللقاء الأخير لانها لا يمكن ان تسلم نفسها إلى سادى يعذب فيها الخيال، ولما كانت انتهازية قديمة ومتمرسة أطلقت العنان لشذوذها فى مقابل بعض السادية فتلويا فى مهد يئن، فنال هذا كله من ذلك التيار الفخيم الذى ولد قوياً بداخلها يطالبها بالحب وفى النهاية تماديا وراح صوت الحب بداخليهما ليرسب فى داخلها إحساساً عميقاً بروعةٍ وقذارة.

عندما غادر أسامة كان الفيديو لا يزال يبث فيلماً جنسياً، أطلقت

زفرة حارة وهى لا تصدق ان اللقاء قد انتهى فقد مرت أربعة ساعات وهما يتبادلان الزمن وينفذون ما يستطيعان من أفلام تراصت بدقة فى حجرة نومها، داهمها التعب فاستسلمت مع الكأس الى تتابع المشاهد وهى تتمنى ان يطول اللقاء إلى الأبد.. أطاحت بالفراش فهى تعشق رؤية نفسها عارية، تذكرت قبل مجيء أسامة أنها كانت تعدد مواطن وحيثيات قوتها وقد كان هذا المقطع الذى لطالما يتكرر هو (ثالثا) لان الأول كان أسرتها والثانى كان علمها وذهنها ونبوغها والثالث هو الجسد وما سبق من آلاف المرات مع أسامة وغيره هو فى نظرها استحقاقية حرية الجسد ورابعاً يأتى إبداعها الشعرى لان الاستاذة دولت لها خمسة دواودين، وهى لا تقرض الشعر الا فى سريرها خاصة اذا كان شعرها عن الرجل، وخامساً هو ما أطلقت عليه الابداع وهى تعتقد ان كل ما يصدر منها ابداع خاصة فى معشوقها غرفة النوم..وعندما يأتى سادساً تنسى كل شيء وتغطى جسدها الذى تحبه عارياً على الدوام وتقول فى مرارة العاهرة (ابني)..

عندما تذكرت الابن أنهت بث الفيديو ثم الطبق وقامت إلى المرآة ورسمت خطها من الشفاة الى البطن وهى تقول (التجاعيد برغم السبعة والأربعين عاماً غائبة).. (الخيال) مازال خيالاً أنا فلتة

من فلتات الخلق.. فاسقة نعم.. شاذة نعم.. ولكنى صبية جميلة.. ولن أهرم أبداً.. هنا عاجلها سميح فى المحمول بمكالمة وكان معناها ان تنزل إلى شقة جديدة كان قد اشتراها لها فى (المنيل) لتضع لمساتها الأخيرة.. جاوبته، ودخلت إلى الحمام لتنعش نفسها بحمام دافىء.. فى دقائق كانت فى صورتها الصارمة التى اعتاد المجتمع ان يراها فيها وقد لمست وجهها ببعض المساحيق فاذا بجمالها يتبلور وكحل العين يجعل من الكلمة التى قد قالها لها مجدى وهى بنت السابعة عشرة كلمة حق وهى (يا ساحرة)، وهى الكلمة التى ترددها كلما لقطت فى عين الرجل نظرة إعجاب فتقابله بالفتور وهى تطلق (خيال..) الكحل أحال العين إلى سحر.. واللون الأحمر أحال الشفاة إلى بسم والمساحيق أرجعتها بعض السنين سناً وهو الرجوع الذى لا تحتاجه لانها فى سن أطلقت عليه (سن الكمال).

لأن المرأة فى هذا السن.. وهذا ما أدركته.. تصل إلى ذروة القوة، فقد أصابت اكتمال الأنوثة والتجربة والعمر وهو ما يشيع فيها القوة، وهذا ما سحر الرجل، لهذا كانت فى أشد الحرص ألا تمتد المحنة التى فيها والتى طردتها من الجامعة وأحالتها إلى أن تعوض دورها الاجتماعى بالفن. فمثلت أول فيلم سينمائى لها مزجت فيه

الإغراء بالجنس الحقيقى كأنها تخرج لسانها للمجتمع، كانت فى أشد الحرص ألا تمتد المحنة الى تجاعيد تطيح بقوة هذا السن. كانت أحرص طالما أنها دخلت الإغراء الصريح فى السينما ألا يتصل سنها بالتجاعيد فتفقد الدور التعويضى لها فى مجتمع باتت تحتقره وتود لو ترد له الضربة ضربة أشد ولكنها لم تكن تعلم كيف.. من خلف نظارتها الطبية الذهبية الانيقة وكالعادة وقبل ان تنطلق بالمرسيدس اختلست النظرة إلى السماء ولم تتحدث، إذ اعتادت عندما تنزل إلى الشارع بعد لقاء جنسى ان تختلس النظرة إلى السماء وهل تقول كلمة واحدة (نار) ثم تنطلق بسرعة جنونية كأنها تهرب من تحت السماء إلى تحت السماء.. كانت تنطلق فى سرعة جنونية ولسان حالها يقول (هل هناك مكان واحد فى العالم لا يرانا الله فيه؟).. (هل هناك مكان واحد لا يوجد الله به؟) كانت تعرف الاجابة، ولكن السؤال الذى لطالما حيرها هو لماذا دائما تتذكر الله(؟) فهى تقصد بالسماء الله ولا تقصد السماء لأن السماء مصيرها معها الفناء. أرجعت تفاسيرها إلى مجدى الشهيد ولكنها بعد سنوات طوال وبالقياس عن كلام مجدى قالت: (إن الله هو الخالق وهذه إرادته التى لا أريدها فينا وكثيراً ما نسيت الله، ولكنى سرعان ما أعود إلى أن أتذكره وأتذكر أنه يرانى

وأتذكر القيامة والعذاب وأقول يا رب أنت ظلمتنا بأن خلقتنا ولكنى سرعان ما أقول كل هذا لا يهم لاننا جئنا إلى الملعونة الدنيا ولسوف ألعنها ولسوف أمارس الفسق ولسوف أتمنى الكفر الذى أعتبره نعمة ولكن الله حرمنى من نعمة الكفر بايمان بالوجود الإلهى رغماً عنى.. فسامحنى يا رب ولكنى أعلم أنك لا تسامح العاهرات لا لأنك تظلم ولكن لأن العاهرة عاهرة ولن تكف ورغم أنى أسميها أنثى تمارس أنوثتها، ولكن الله - أنت يا رب العالمين - أعددت لها الجحيم ووصفتها بالزانية ولا حول لى ولا قوة فى أن أدافع عن انثى قد وصفها الله بالزانية لانها فى عرف الأديان تزنى ولكنها فى عرف نفسها تمارس حريتها.. أنت يا رب ظلمتنى بأن خلقتنى وكان لابد ان استشار قبل الخلق فلا تلومنى على انى خاطئة).

وبعد أن قالت كل عبارات التمرد بدأت تنسى من زحمة المرور انها تتمرد على الله وانها تنادى الله بأنه ظلمها وهى تعلم فى قرارة نفسها انها ربما يجئ اليوم الذى تناجى الله فيه فى صلاة القيام.. كم اشتاقت الى ذلك ولكنها كانت تصر على انها انثى ولابد ان تمارس أنوثتها وهلم جرا من كل أفكارها منذ أن كانت صبية فى الثانية عشرة من عمرها.. قطعت الطريق بسرعة الى الشقة وهى رقم خمسة فى

ترتيب شققها لان الدعارة فى ظل بوليس للآداب يقظ يجعل من الحياة جحيماً ومن ممارسة الدعارة حياة عصيبة، وقد اعدت الشقق الخمسة بعدد حيثيات قوتها ما عدا البند السادس وهو بند الابن العاق واطلقت عليها الصوامع، لانها تعتقد ان ممارسة القداسة الجنسية من جسدها الى جسد الرجال هى ممارسة تحتاج إلى سموق لانها تعطى (الخيال) إلى رواد (الخيال).. من أسفل البناية كانت تسمع صوت مطارق العمال فى الجدران وقد منت نفسها ان ترى كل ما أمرت به سميح قيد التنفيذ، وما هى إلا دقيقة حتى انهت جولتها واتصلت بسميح لتقول له أن كل شيء على ما يرام وان الأثاث الباقى يمكن ان يصل غداً.. أدركت نظرات العمال النهمة إلى جسدها الذى كانت تسميه (القديد الناضج) فأطاحت بعقولهم. عندما حملت نسمة من الهواء جدائلها الشقراء إلى كل الدنيا ففغرفاه العمال البسطاء وعندما تكاسلوا صاحت بهم لان العمل لابد ان ينتهى فى خلال ساعة، فما ان كان من العمال إلا أطاحوا بالجدار فى دقائق مخلفاً ذلك الضجيج وهو ما أخرج بعض الجيران الذين داهمهم ان يكون من بينهم جارة جديدة هى (لولو)، فأطلقت عجوز كلمة قصدت منها ان توصلها إليها، (عاهرة)، فحبست دمعها، وهى

تود ان تقول لها (أنا أكبر عاهرة ولست عاهرة فقط) ولكن الذى أثارها أكثر انها مضطرة إلى ان تمارس النفاق الاجتماعى لان النفاق الاجتماعى هو الذى يصلها الى المكانة التى تريدها، ولو ان المكانة بالعهر الجسدى بالذات لكانت أول من جاهر بالدعارة وممارستها للدعارة ولكن عمرها كله ذهب وهى تبنى مكانتها رغما عنها فى صورة المدافعة عن قيم تؤمن بها وقيم أخرى لا تؤمن بها البتة لا تتعلق بالدين فقط ولكن بالتقاليد وحركة رءوس المال والسياسة والمعارضة وقضايا الساعة فى كل العالم، وفجأة تحولت إلى مجرد (عاهرة) فانهار كل ما يمت بالمجتمع فى داخلها بل أصبحت تمقته لانه صادر فيها النبوغ الذهنى ورحلة الكفاح ومعاركها العديدة التى قادتها من أجل التمدن من وجهة نظرها ومعاركها الأشد التى كانت تورطها فى بعض الأحيان مع السلطة من أجل (الحقيقة)، وكل ذلك انتهى إلى (عاهرة) والغريب ان هذه الصفة هى أحب صفة إليها فى الوجود بعد (انثى الخيال) فما كان منها إلا أنها خرجت من القضية وهى تدعى ان خطها فى الحياة لم يمس، ولكن صورتها أمام الجماهير كانت ضعيفة وشخصيتها امام الرجال فى قضايا ساخنة كانت مهترئة. رويداً، رويداً أخذ خطها الإعلامى يخبو و(يبدله) سميح بالفن لأن

أحد نشاطاته الإنتاج الفنى وكان فيلمها الأول الذى علمت فيه الانثى كيف تغرى الرجل وهو ما جاء باسامة إلى حبه الأول (الخيال). هى بهذا أعلنت أنها (عاهرة) وليفعل معها المجتمع ما يريد، ففيه فى نظرها منافق عاهر ليست له أيديولوجية، ينافق الله والحاكم وقد أكلت الرشوة عموده الفقرى فيه مَنْ طحنه الفقر واكتسحه الفساد.

هنا كادت تدخل حزب المعارضة ولكن سميح أوقفها عند حدها وقال إن المعارضة لن تضيف إليك لانك كنت حزباً قهره بوليس الآداب والمعارضة نفسها ستلفظك لانك فى كل مكان منفلتة ومخادعة وكنت تتحدثين ضد الدعارة وأنت دعارة. هنا أدركت ان الثدى لابد ان يتعرى بطريقة صحيحة حتى تُعلّم المجتمع كيف يكون (العهر)، ورغم قوتها الجسورة وعزيمتها الا ان كل من حولها أدرك فيها انكسار العين وهزيمة النفس وتحطم الانا وانحناء الكبرياء حتى صارت (الخيال الحزين)، وعندما انفجر فى حياتها أسامة تحول كل ذلك إلى ما قد وصلت إليه (الأمل مازال موجوداً.. وربما أجد الرجل فى يوم من الأيام.. ربما أجد مجدى فى صورة ما.. سأجده لأننى قد بلغت من العمر ما لا يمكن ان ابحث مرة أخير عن عين تحبنى قبل أن تشتهينى.. آه يا بائسة.. يا مجنونة.. يا ساحرة.. الحب.. الحب

المقدس.. الحرية.. العدل.. المساواة.. الريف.. الحضارة.. الحق.. الخير.. الجمال.. الخيال.. عمرك الآن قارب الخمسين ولم تفوزى من الرجل بقلب وقبلة ولكن بقلب وجسد.. هل لأنك ملعونة؟.. لا.. الملعونات أيضاً يجدن الحب.. ولسوف أجده.. سأبحث عن الحب فى كل مكان وفى كل العيون ولسوف أجده..). ساعتها اقتحم المكان رجل تعرفه جيداً، ولأول وهلة تعجبت فهل هذا هو يوم الذكريات.. كان الوالج فى عصبية قطب المعارضة المعروفة (عاطف عاطف عاطف) وقد دخل إلى شقتها التى أصدرت الضجيج من شقته المجاورة فأحالت نومه إلى جحيم ومن خلف عاطف كانت الهمهمات واضحة (أخرج العاهرة) (ستمثل فيلم إغراء عن النفاق) (ضاع العمر يا ولدي).. لأول وهلة لم يعرفها ولكن بعد ثوان أدركها (إنها الفاسقة الكبيرة.. دولت؟!!)، (أى نار أتت بها إلى هنا.. هذه الشريدة.. هذه المنافقة.. كانت تريد أن تلتحق بالمعارضة ؟!!.. مجنونة.. جنون العظمة صور لها أن تفعل أى شيء فى أى منظومة.. سميح عدوى اللدود هو الذى أخرجها من قضية الدعارة.. هل ما تزال على علاقة به؟). (إنها صيد رهيب.. يسمونها الخيال.. فيلمها الوحيد الأخير نجح نجاح مدوى وأثار غيرة كل النساء.. كانت تتحداهن بهذا الجمال.. انها ليست جميلة انها الجميلة.. رأيتها

على الأقل عشرين مرة.. أنا صحفى كبير وقطب من أقطاب المعارضة وأعلم الكثير من الخفايا.. هذه هى الضربة التى سأسددها إلى الفساد.. سأدلف منها إلى سميح وأضرب كل العصافير بحجر واحد.. لابد ان ثمة اتصالات واسعة لإخراجها من القضية التى كادت تجهز عليها..) وبالتدريج دار بينها وبين عاطف حوار شديد اللهجة ولكنه الحوار الذى أخذ يهدأ بعد توقف الطرق فى الجدران لأن الساعة ساعة غروب ويوم جمعة ومن العسير ان يستمر الهدم أكثر من ذلك..

أدركت أنه على صواب إلى حد كبير خاصة انها لم تكن تريد أن تثير علامات الصحافة والمعارضة بالذات وانسحب الفريقان، العمال إلى رجعة بغد والجيران.. كان كل منهما يرى فى الآخر شيئاً يريد أن يستطلعه.. كان عاطف محدد الهدف وهو أن دولت صيد ثمين خاصة بعد ان اصبحت جارته لانها تملك الكثير من الأسرار، والمعارضة جزء من الدولة وقد أراد فى هذه الآونة من عمره أن يفجر قنبلة كبيرة يستريح بعدها.. هى كانت تتوجس خيفة فهى تعلم انه على عداوة كبرى بمعظم رجال الأعمال وخاصة سميح ومن المنطقى أنه يريدها طُعما إليه.. وأغلقت الباب وامتد الحديث إلى قضيتها وأوضحت فى فصاحة مدى الظلم الذى وقع عليها، ثم إلى برنامجها

التليفزيونى ثم فيلمها الأخير ودارت رحى التفكير.. كان كل منهما فى واد ولكن كان بينهما شيئاً رغم اختلاف السلوك يجمعهما.. كان الحرمان.. فالأستاذ عاطف يشرف على الخمسين، متزوج وله ابنة وحيدة هى (مَيّ)، علاقته الزوجية فى نضوب كامل منذ السنوات الأولى للزواج وقد كان يطمح أن يعيش مع زوجه قصة حب راقية ولكنها صدته لان - كما يفسر هو - قدراتها لا ترتقى إلى الحب ولكنها على أقصى تقدير تعطى القلب بضرباته بلا نبض وتعطى الجسد بلا سخونة.. فألقى نفسه فى بحور السياسة، وهو السياسى ومن أسرة سياسية، هكذا أورث الأب ميراثه إلى الابن فاذا به وهو فى الخامسة والثلاثين يحمل على منكبيه إرث الأسرة السياسى ويكون فى عين الحزب الفارس المغوار الذى له مستقبل كبير وقد كان.. هو الآن (عاطف عاطف عاطف) السياسى المخضرم الذى أشعل فى صحافة المعارضة قوة المعارضة ونفاذ النظرة مع التحليل الصائب، واستطاع ان يصل وسط لغط السياسة الى كلمة سواء فأصبح له من ينصت له ويتصل به عساه يجد لديه اليقين فى زمن قل فيه اليقين فى كل شيء خاصة القرارات السياسية الدولية. وقد أدرك الحصيف (عاطف) ذلك فراح يجهد نفسه فى اتصالات واسعة أوصلته بالكثير

من قيادات السياسة فالسلطة، ثم بعد، الدوائر العربية والغربية حتى أدرك ضوءاً فى ليل السياسة فاذا به يخرج الى العالم بوجهة نظر فى الحرية والعدالة والمساواة وقاس على ذلك القرارات الدولية المُحللة من مصادر أخباره من أعلى سلطة فى الدولة فاذا به نجم من نجوم المعارضة.. ظل يجاهد من أجل البسطاء طوال ثلاثين سنة منذ أن كانت أظافره ناعمة حتى أصبح له كل الأنياب التى تتيحها له معارضة رصينة تدرك أبعاد الموقف السياسى المصرى وتدرك أن قائد مصر هو فى كل التاريخ من أقوى شخصيات العالم ومصر عودت العالم على التغيير، وهو التغيير الذى لا تمهيد له فهو تغيير قاتل أذل نابليون وكرومر ورفع جمال عبدالناصر إلى الذروة ثم حمل السادات إلى القمة ومنذ لحظة وصول السادات إلى الحكم ومصر (فى سفينة نوح) على حد تعبيره لان زلزال اكتوبر غيّر العالم (كعادة مصر).. وقد أدرك (عاطف) بعد ثورة التصحيح ان مصر لا تتحول فقط ولكن قرار السادات العبقرى بالتحول إلى الغرب هو استباق المستقبل لان المعسكر الشيوعى كله انهار تاركاً الإرث الشيوعى عجوزاً هتماء فى غابة كلها نمور، فسقط فى العالم كل الثوار الذين كانوا يعتقدون ان موسكو هى الأم فأصبحوا على حد تعبيره (أيتام)..

وببصيرة نافذة وبعد تفكير عميق وصل إلى قرارين أولهما أعلنه فأثار ضجة فى كل العالم المصرى والعربى والثانى هو القرار الدفين الذى لم يستطع أن يفسره لانه الآن فى أوج النجومية والسلطة فى أحيان كثيرة.. أما القرار الأول هو إدراكه أن المشكلة لم تعد فى قرارات السلطة لأن العالم كله لم يعد يحكم أحد ولكنها تيارات جوهرها الصهيونية، ولكن الصهيونية نفسها ترنحت عدة مرات وهى محاصرة ومشوهة تماماً بما تستحقه على أيدى الانتفاضة وفى عقر دارها. أدرك (عاطف) أن العالم يهوى إلى الجنون وأن (الجات) هو الحصار الرهيب الذى لا يقوم عليه الا محتكروا العلم، وإن الجات هى ظل روما وهى النظرة الصهيونية الذهبية التى حولت العلم الى ذهب فأرادت ان تحتكر العلم بتوظيفه إلى ذهب ثم كنز الذهب، وهنا أدرك أن النظام الدولى المنهار وحقوق الإنسان المزعومة تحولت إلى قوى تخدم مستوى الدخل وتتحول فى النهاية إلى عملات وأرصدة، وأن الجات فى عمقها قد وحدت كل المعامل ووحدت كل جيوب الفقراء من أجل قرص الاسبرين ولقمة عيش ممزوجة ببعض الملح. وهنا تساءل أين مصر؟ وأين التغيير بل أين السلطة نفسها؟ السلطة موجودة ولكنها تصارع من أجل الحفاظ على جهاد السنين منذ

محمد على وأن عبدالناصر كان محاولة عودة محمد على ولكن على أسس واهية وأن النهضة الساداتية قد جاءت مع نصر أكتوبر لتعيد العالم إلى مصر خاصة بعد ان انتهى من العالم ساسة الموالد والثوريين الذين دائما ما يهزمهم ضبابهم، وهنا خرج (عاطف) بتفسير إنسانى لهذا الضباب (وهو زفير الخطُب الثورية وهو الزفير الذى يتطاول مع لهاث يحاول النيل من قوى عظمى تستطيع سحق دول فى لحظات) وهنا أطلق الصعداء (الحمد لله ان أنجى مصر من المحنة الكبرى ومن عار ١٩٦٧م) وعندما أدرك (عاطف) هذا الخزى العالمى وهذه التحولات التى أدركها فى تنحى ديجول بذكاء الفرسان وثورة الطلاب فى فرنسا وفيما وراء الأطلسى الرهيب المكارثية، وعندما قرأ رواية (موت بائع جوال) لآرثر ميلر ومن قبلها شاهد سحق جون كيندى، وعندما مر على النيل وهو محطم بعد الانسحاب المهين فى صباه وبكائه حتى الجنون، وعندما شب على نصر أكتوبر فى رمضان وعندما لمح روما تعود بعد انسحاب لندن من كل العالم وعندما مارس العمل السياسى وأدرك الفلاح والعامل والفنان عن قرب، أطلق قراره الأول وبصفة شخصية وهو ادماج الحكومة فى المعارضة والمعارضة فى الحكومة دون أن ينتهى كيان أى منهما، لان هناك شيء ما أهم من كل ذلك هو

الاحتفاظ بالكيان مع الذوبان فى الممارسة السياسية خلف القيادات وأن تتخلى الحكومةعن الأنانية وأن تتخلى المعارضة عن العنجهية. قد حققت المبادرة الغليان واتهمته الحكومة بأنه يطلب السلطة واتهمته المعارضة انه (العار) ولكنه كان يرى أن السلطة تصارع فى صمت لا من أجل الوجود لهابل لأن مصر هى أصل الوجود الدولى ولكن من أجل الحفاظ على النصر التاريخى وجهاد ثلاثين عاماً من الرحلات الدبلوماسية وآلاف المستندات الدولية ومئات الألوف من المقالات التى شاركت فى التحول العظيم من دولة الحلم الى دولة الواقع. وعندما رأى النُذُر فى سحق العراق لا فى حربها ومعها الجات قرر أن يبادر وأن يتخلى الجميع فى هذا الظرف التاريخى عن بعض التاريخ وعندما وصل إلى هذه الجملة لاحقته كلمة (العار).

رغم كل ما سبق ورغم أن أسهمه قد طالت السماء لدى الكثير من المثقفين والسياسيين إلا أنه شعر شعور الوالد الذى ربى ابنه، ومن ثم، وصل إلى القرار الثانى وهو الاعتزال السياسى، وهذا هو سره الدفين، لانه الاعتزال الذى يحوله إلى مُنظّر ومرجعية لا إلى معارض يمارس المعارضة آنياً.. شعر أن الساعة قد توقفت وأن نبضات قلبه تأخذ فى طريقها لا إلى التوقف ولكن إلى ما أسماه (النبض بالسالب

نكوصاً فى الزمن) ليخالف رأى أمير الشعراء.. فجأة أدرك أنه يجب أن يتوقف عن كل شيء وأن يعود إلى صباه وقال قولته الشهيرة (المعارضة آسنة).. أراد أن يعود إلى صباه ليستمتع بالنيل والغروب دون أن يكون ذلك إغراقاً فى الرومانسية ولكنه إدراكاً لما قد بقى من الحياة.. ولكن الأستاذ (عاطف) لم يدرك الآتى:

أولاً: أن حياته الزوجية ناضبة وأن المرأة الوحيدة فى حياته قد أصبح غير مقتنع بها تماماً وأن علاقة المودة التى كانت بينهما الآن أصبحت كعلاقة المدير ومرؤسه والعكس وأن القُبلة بينهما روتين بحت..

ثانياً: أن الأستاذ عاطف يمر بالخمسين وأن اعتقاده بأن عمره قد مر أخذه يتحفز إلى أن يعيش مرة أخرى مع امرأة أخرى تعيد إليه حياته. كثيراً جداً ما تنعكس أدق تفاصيل الحياة الشخصية على قرارات السياسيين.

ثالثا: إنه مهزوم أمام الفوضى، فالعالم من وجهة نظره يهوى إلى الحضيض وأن الحروب التى كانت فى فجر التاريخ لها مواثيق وأهداف أصبحت الآن لسحق الشعوب، وأن الرصاص ينطلق كذبا من أجل تحرير الانسان فى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية بينما هو لتكبيل الانسان وأن المواطن فى العالم القديم يدرك تماماً أبعاد اللعبة

السياسية رغم الفقر المدقع، ولكن مواطن العالم الجديد الذى يعلم رئيسه ما بالنا لو سألناه، من تحارب ولماذا؟ وهنا صرخ (عاطف) لا شعورياً (الفوضي).

رابعاً: شعر (عاطف) بعد ثلاثين عاماً من العمل الحزبى وبعد عهد محمد على ونافارين وبعد ان رسخ قصر عابدين فى قلب القاهرة مرسخاً فى وجدان الشعب الدولة الراسخة والشموخ والطموح المصرى العظيم وبعد طوفان عبدالناصر ثم إسرائيل وهذا الصراع الرهيبة الذى خاضته الأمة من أجل التحرير من ربقة الاستعمار ثم من أجل الحفاظ على مصر الحديثة.. شعر انه بعد كل هذه الأطنان الرهيب من الصحف التى تملأ آلاف الأهرام وتغطى كل سطح مصر، شعر أن ابنه قد نضح وكان يدرك بابنه (المواطن) وهو جيل الشباب من مصر وهو الجيل الذى كان لا شعورياً لديه الجيل المعنى بحماية أكتوبر على أرض الواقع أما بالحرب أو بالسلام أو باستمرار الصراع، ولعل هذا السبب الأخير هو أكثر الأسباب الظاهرة له من أجل الوصول إلى قرار الاعتزال، وهو سبب هام فى إعلان مبادرته التى هاجم فيها الحكومة والمعارضة، ولكن بعد وصوله إلى لقب (العار) من المعارضين شن الهجوم العنيف على المعارضة واتهمها بانها عقيمة

وانها فقدت القدرة على مواصلة الحياة وانها لهذا تصب جام غضبها على الحكومة لتخفى عدم قدرتها على الاتيان بخطاب جديد تخاطب به الشباب كقوة ضاربة فى المجتمع. وان المسألة لا تؤدى إلى الذوبان فى الحكومة ولكن لابد ان تتحول إلى تيار سريع متدفق يساعد فى موضع المساعدة دولة تريد أن توفر لشعبها الغذاء والسلاح والسلام، فى وقت التدرك بالحرب والعزلة الدولية التى هى التمهيد الأساسى بضياع ثلاثين سنة من الكفاح مع عالم عنجهى ينظر الينا من خلف البايب والمنديل الانيق المتدلى فى جيب الجاكت الأسود مع أجمل العطور وكل ذلك من خلف موائد مستديرة أقل كلمة فيها اننا من العالم الثالث أى العالم الضائع الفقير.

وعندما وصلت المبادرة العاطفية الى الفتور أكلته الحكومة أكلاً ورفضت عرضه وقالت إنه (طالب سلطة) وهكذا تحقق (العار) من الجانبين، ولكن (عاطف) انتعش بعد هذه الضربات خاصة ان مبادرته أصبحت من أدبيات العمل السياسى فى مصر والعالم العربى لانها لأول مرة لا تمس المشاركة من جانب حكومة ومعارضة ولكنها تمس التنازل عن بعض أدبيات التاريخ فى أمة مبتلاة بالتاريخ. هكذا بعد الانتعاش والرد الحصيف على كل مهاجميه شعر هو شخصياً

بالتوقف. لأول مرة فى حياته راح يبحث عن المرأة لا إرادياً فى عالمه، فوجد أن كل النساء متزوجات وان الجيل الجديد من الفتيات شابات يبحثن عن الحب الرهيب، ورغم أنهن قليلات جداً ولكن نظراتهن إليه أيقظن فى نفسه الاندهاش عندما داهمته الفكرة (عاطف.. أتريد أن تحب؟).. لم ينم (عاطف) ليالى طويلة بعد أن استعذب هذه الفكرة، فحاول أولاً مع زوجه فأدرك منها الفتور والسخرية وقد حاول جاهداً أن يجد لذلك تفسيراً، ولكنها الحقيقة وهى أنها جامدة المشاعر متكبرة، تدارى برودها الحسى والشعورى والجنسى. بعكس الجيل الجديد الثائر الفائر الساخن، ولكنه لم يقارب أحداً من الشابات لأنه لم يجد فى أى منهن هواه رغم كل ما بهن من ذكاء اجتماعى وجمال ونضارة الشخصية، فخرج من كل ذلك بقرار ثالث وهو المعروف بحصافته ومقدرته على اتخاذ القرار خاصة بعد أن أدرك أنه قرار صائب، فقد قرر الأستاذ (عاطف) أن يتزوج وأن يحب ولعنة الله على زوجه وعلى المعارضة الآسنة وعلى السياسة كلها خاصة بعد أن أمضى بها ثلاثين عاماً، إن كانت ستأخذه من حياته أو من البقية الباقية من حياته. ثم كان قراره الرابع بأن يضع ابنته (ميّ) على ر أس الأولويات حتى تتزوج وأن يحوّل رغبته المُلحة

إلى العاطفة، إلى عاطفة الأبوة، خاصة أن (مي) فى السنة الأخيرة فى معهد السينما، وأنها على وشك تشكيل شخصية مثمرة تعطى للمجتمع الكثير من الأفكار فى هيئة تجسيد وتمثيل. لمح (عاطف) فيها النزوع إلى المثاليات واحترام الحريات ولكن كان ينقصها وجهة النظر. هو الآن ينهى معها ذلك لانه شرح لها أن الفيصل بين الإنسان والإنسان خاصة المبدع هو وجهة النظر وأن هذه هى الدرجة التى يمكن ان يصل بها الإنسان المبدع إلى السموق، لأن وجهة النظر فى الحياة والكون هى التى تخلق الفكر، والفكر هو جوهر الشخصية والشخصية لا تتخلد إلا بالفكر وهذه هى دائرة النجاح، وان الإنسان مع سعيه ونضجه عليه أن يصل بدائرة النجاح إلى القمة، ولكنه فى النهاية سيصل إلى الدرجة التى فعلاً يستحقها من تحصيل القدرات بالعلم إلى النضوج فى ظلال وجهة النظر. وعندما قالت له إنها تعشق الثورة ساعدها بالمراجع، وعندما قالت له إنها تحب عبدالناصر نظر إلى سنها وعندما قالت له العبور أدرك أنها قد بدأت الطريق الحقيقى للنضوج فنشر لها بعض المقالات البسيطة، وعندما كلمته عن الحب غضب وقال لها الزواج وعندما كلمته عن الأبوة قالتها له (أنت يا بابا نعم الأب). هكذا نشأت علاقة فكرية بين (عاطف) وابنته (مي)

فتحولت عاطفة الابنة إلى تواصل بين عقليتين، عقلية (مي) الصاعدة الواعدة وعقلية الأب الذى يريد أن يصل بابنته إلى نبوغ الجيل الأول وأن يكسى ذلك وجهة نظر أرادها منها، ولكنها خرجت مزيجاً من كل شيء فى هذا المجتمع من القرآن إلى الثورية إلى الأب إلى المودة إلى الطرب إلى المسرح، فخرجت (مي) ذلك الجمال الهادئ الباطش فى نفس الوقت، وهذا الهدوء هو ما أدركه (عاطف) فسادته السكينة لانه يعلم أن الهدوء هو صنو النضج والنضج هو الطريق إلى إفراز الشخصية واستيعاب العلم والفكر ولكنه كان فى قلب (مي)، ثورية قوية، لا تنتمى إلى أحد السياسيين ولكنها تنتمى فى هذه المرحلة السنية إلى الرغبة الحارقة فى التمكن من الحياة من أجل المكانة. هذا النضج المبكر والرغبة العارمة لتحقيق مكانة رصينة هو ما دفع بعض المخرجين لاستثمار شخصيتها فى بعض الأدوار، ولكنها ما تزال غير راضية لانها لم تصل إلى أدوار البطولة بعد. عندما وصل عاطف مع دولت إلى بعض الأحاديث الجانبية وقد تحملت نفسه بكل ما سبق من شجن كان يدس قلمه فى جيبه الداخلى وهو ينظر مليا فى قسمات دولت التى أدركت ذلك فى لمح البصر، لان هذا ما قد اعتادت عليه، لان هذا ما يروى ظمأ الانا من الحياة ولكنها استمرت

لانها كانت تشرح بعض الأبعاد فى شخصيتها الأولى والوحيدة حتى الآن والتى مثلتها أخيراً فى السينما. عندما أكملت وجهة نظرها كان عاطف قد استعاد الكثير من وعيه أمامها لان سحرها وجمالها وشخصيتها وقضاياها قد نالوا منه خاصة فى مثل هذه الحالة من الرغبة الحارقة فى خلق الحب لا فى التعامل معه، سرعان ما تحمل هذا الجمال، ولكنه عندما استعاد هذا الوعى راح يبحث فى عقليته عن موضوع يأثرها به.

من طرف خفى أدرك أنها فى وجدانه منذ زمن طويل لان الخيال هو خيال كل الرجال وانها مادة خصبة للكثير من الصحف خاصة فى العامين المنصرمين، طافت به ذاكرته ببعض المواقف التى جمعتهما ولكن الأحداث وتفاصيلها لم تتح لهما مثل هذه الجلسة الهادئة وهكذا انساب صوتها العذب يسكب الحلم الطاغى فى داخله بالذكرى والحب، وقد ضغط على هذا كله من قد أسماه (المعارضة الآسنة).. فى البداية تذكر أنه كان يتابع برامجها فى التليفزيون وقد سمع أنها الخيال وأدرك ذلك من كل التفاصيل التى فكر عنها فيها حتى الشخصية منها، وأعجب فيها بالشيء الخطير فيها ألا وهو الشخصية القوية، وهى الفخ الذى سقط فيه كل من أحبوها.

هكذا انسابت فى لحظات ذكرياته معها عبر الشاشة وعبر بعض المكالمات القليلة جداً بينهما. ضحك ضحكة خبيثة عندما تذكر انه من الشخصيات الرئيسية التى شنت عليها هجوماً رهيباً كاسحاً بعد سقوطها فى القضية، اتخذ موقعاً صامتاً سرياً ليجهز عليها بنفسه فى لحظة يحددها هو، وعندما ظهر سميح كاد أن يخرج عن صمته كان كل شيء قد انتهى ولم يعد فى مقدوره ان يفعل شيء لأن دولت كانت خارج دائرة الاتهام تماماً، وأن محاولات التصالح بين الحزب وسميح بتدخل بعض الشخصيات القيادية أحال دون أن يدلو بقلمه الباتر فى هذه القضية فأشعل بعض الكتاب وأعطاهم بعض الأسرار، وفى النهاية بقى دون أن يكون له باعاً فى كل ذلك. على الفور بدأت ملامحه تتجاوب معها مظهراً بعض التعاطف والتفهم لكل ما جرى لها دون أن يقول رأيه الذى لف ودار عندما طلبته منه. انتهى كل ذلك إلى ارتواء نظره من الخيال واطلاق ذاكرته من أجل الوقوف على كل ما سبق لها عنده من مكنون النفس وقد روى ذلك، ذلك الانتعاش الذى دب فى أوصاله وهذا الشعور الرائع بالسعادة وهو مع الخيال، إنها اللحظة التى تذكر فيها كيف دخلت حياته (كخيال) وشخصية وجسد (وهو الرجل)، وفى نفس اللحظة التى راحت نفسه

تودع السياسة سراً وتبحث عن عشق جديد ترمى به جفاف حياته.

ساعد ارتياحه الذى ظهر واضحاً على ملامحه ان تسترسل خاصة بعد أن لاحظت أن عينيه تروح وتجيء على كل قسمات الخيال فاذا بها تحرك يديها فى براءة وترسم نظراتها التى ترتجف، وتروح يمناها إلى شعرها حر إلى كل الأنحاء، ومع كل ذلك هذا العطر الدفين المدفون فى جسدها اللين الناعم فتتحول أمام الأستاذ إلى الذكرى المهزومة دون قضيتها.. تتحول إلى الماضى عندما كانت تدعو كبار الشخصيات وتصول وتجول من المشرق إلى المغرب وتخرج فى النهاية وقد أدركت فيهم جميعاً آثار الخيال. ومع ارتياحه ومع انفعالها فى الدفاع عن كل حياتها وعن الشخصية التى مثلتها أخيراً متجاوزةً كل ما يمكن أن يقال عن القضية راحت هى الأخرى إلى عينيه الرماديين وتعلقت بهما.. لمحت دولت فى عينيه نظرة راحة، وهى فى أشد الحالات اشتياقاً إلى هذه النظرة لان عاطف قطب من أقطاب المعارضة وراحته تومىء إلى التعاطف والى الاحترام وقد أدركت فى عينيه تحول الاعجاب إلى إعجاب شخص إلى شخص.. هى الأخرى راحت إلى ذكرياتها معه وقد دعته إلى برنامجها مرتين وأحالت الظروف بين اللقيان وها هو عاطف أخيراً بالمبادرة الشهيرة يجلس

أمامها بوجهه الهادىء ورصانته وصلابته، وهى فرصة سانحة أمامها لتغوص فى خلاله فهو من الشخصيات الغامضة فى عالم السياسة ولكنه فى الآونة الأخيرة استطاع أن يصل إلى مكانة مرموقة تمكنه من معرفة ما يدور فى كل العالم. وهى فرصة لتصحيح الماضى من عدم اللقيان إلى اللقيان والفهم ولم لا وهو أمامها وقد أخذت ملامحه تعبد لها الطريق إلى الوصول إليه، وهى إعلامية وتعلم من نظرة العين وابتسامة الوجه، ان الطريق أمامها مفتوحة وما عليها إلا أن تتعامل بحذر. هنا أدركتها سجاياها فأدركت على الفور أنه مثالى متذئب وأن السياسى فيه قد امتزج بالرجولة والانا وكل ذلك قد تسللت إليه الذكورة فانتعشت لأنها أخيراً هى الأخرى ستصل إلى صيد ثمين ربما يعادل سميح ويحميها منه. فى لمح البصر وضعت الحواجز رغم حالتها النفسية التى احتوتها وسيطرت عليها محولة إياها إلى شخصية تبحث عن خَلق الحب مثل عاطف حتى لا تتحول هذه العلاقة الحثيثة الى علاقة مرفوضة من قبل معارض انيق وهكذا تهدره ومن قبل أن تهدره تهدر كرامتها. وضعت الف حاجز وأولها أن تتفادى النظر إلى عينيه الرماديين العميقتين على ألا يلاحظ ذلك، فرسمت فى لمح البصر حركات وجهها البرئ الفاتن ليبدو طبيعياً. لم

يمر ذلك على عاطف فأدرك منها إنها تتفاداه وهو يعلم منذ صباه أن فيه سحراً أمام نوع من النساء الحالمات أنها شخصيته الوديعة الرقيقة والقوية وملامحه الجميلة وعيناه اللتان تقولان كل شيء دون كلمة واحدة وكم جميل أن يدرك الرجل أنه قد حصل على اعجاب امرأة خاصة اذا كانت هذه المرأة هى هذا الخيال.

كان اللقاء ينتقل من مرحلة إلى مرحلة وهذه المرحلة هى أخطرها جميعاً لانها مرحلة الاعجاب.تسلل الاعجاب من بين الرموش والجفون والابصار إلى القلوب.. كيف..؟ كان الحرمان هو المعامل الخفى لكل ذلك.. كلاهما يحمل عبء السنين وكلاهما اتخذا قراراً بالبحث عن الحب وكلاهما نادر فى خلاله وكلاهما يحمل للآخر وجهة نظر تحملت الفراق عبر السنين.. كان الحرمان ثم الحرمان.. كان الحديث ينسل فى هدوء ومن موضوع الى موضوع وكلها سياسية كان الحديث عن النظام العالمى الجديد وهل أصبحت الولايات المتحدة جادة فيه كما مضى..؟ انعكاس ذلك كله على الشرق الأوسط وما أن جاءت كلمة الشرق الأوسط حتى عادت إلى رشاقتها الحوارية.. فتطلعت إلى الحديث الطويل الشيق عن مصير الشرق الأوسط، كان القناع الذى تتخفى خلفه من أجل السموق فى المجتمع.. موقعه..

دوره.. سياسته.. ومصيره.. وكالعادة سألت صاحب العينين الرماديين عن مصير الشرق الأوسط وعلى الفور أجاب وفى نفسه أصداء معارك نصف قرن من الزمان وميراث الأسرة السياسى يغلفها.. قال (العالم كله إلى ضياع) وهنا ضحكت لانها كانت قد بدأت طريق السعادة ولانها تعلم أن الضياع العالمى هو رغبتها الملحة لأن الضياع صنو الانحلال ولان الضياع هو ذلك الشبح الرهيب الذى يطارد الايمان فيقع العالم كله بتعبيرها (بين ثدييها) على الفور أجابت (السحيق.. الضياع السحيق). عندما أطمأنت اليه فى الحديث، بدأت تدخل -كإعلامية- الى تركته الشخصية، فسألته عن مبادرته الأخيرة وكيف انها معجبة بها وأن كل من المعارضة والحكومة كانتا فى منتهى القسوة معه إذ لقبانه (بالعار). ثار وماج وقال (أنهم هم العار.. لا يعلمون أن النظام العالمى الجديد هو فكرة لملئ المحتوى الرهيب الذى ظهر بانهيار للنظام العالمى القديم بانهيار مستحق للدب الشيوعى، وأن الفراغ أكبر من قدرات الصهيونية العالميةبكثير لانها حركة مرتبطة بدويلة صغيرة تعداد سكانها بضعة ملايين وأن الفراغ أكبر من الولايات المتحدة وأن إعلانها عن النظام العالمى الجديد سيمزقها لانه حولها إلى شرطى العالم وان كل هذا ينصب إلى وادى الويل (الشرق الأوسط)

لان به إسرائيل المعتدية الرافضة للسلام، وان العراق يدفع الثمن المستحق والغير مستحق وان الفوضى تعم والجات تكسب) وهنا سارعت بسؤال عن ثروته فضحك وراوغ وفى النهاية شاركته رأيه بأن العالم إلى ضياع سحيق. هنا بادلها السؤال عن فيلمها الأول فراحت تتحدث عن بعض تفاصيله أخرى، وقد كان ملخصه أنه يتحدث عن معاناة امرأة فى سن اليأس ووحيدة.. وهنا قال (الفيلم يعرض مراهقة المرأة اللعوب) ولكنها دافعت فى جملة ثورية بطريقة ثورية (إنها المرأة التى تبحث عن الحب) وهكذا ودون تعمد من كلاهما خرجت إلى الحوار كلمة (الحب).. صمتا.. كانت الكلمة قوية وقيلت بصدق بالغ كأنها تتحدث عن نفسها.. التقمت الكلمة الصغيرة من حرفين كل الكلمات.. دار اليها بعينيه الرماديين، هربت منه فى حركة تمثيلية تثبت بها النظارة الطبية الانيقة على عينين زرقاوين فصيحتين.. كان يود أن يقول كلمة (حب).. اعجاب.. أو حتى شفقة بها ولكن لسانه توقف، ابتسم إليها وصدر صوته الهادىء (وهل وجدته؟).

- ما هو؟

- الحب.

ومرة أخرى صمتت ولأول مرة فى تاريخها تخرج ملامحها عن

سيطرتها.. داهمتها نوبة من البكاء المكظوم ولأنها سيطرت على الموقف فى آخر لحظة - كانت تود أن تصرخ وأن تقول لا (لم تجد المرأة اللعوب الحب.. لان المجتمع مجتمع عاهر ينظر من خلال ثقب أسود واحد فقط لكل العالم.. المجتمع لفظ المرأة وهى فوق الأربعين وحرّم عليها الحب فانحرفت) وكان يريد ان يقول هو (انها اهتبلت رفض المجتمع وانحرفت وأنه لم يكن هناك أمراً ضرورياً للانحراف إلا فى سلوكها الأصيل).

امتدت فترة الصمت إلى حوالى الدقيقة وفى سرعة تبخرت دموعها وقالت فى صوت خفيض متشح بابتسامة رائعة.

- لا.. لم تجد المرأة الحب.. ثم راوغت وسألته كم مرة رأى الفيلم.

- مرة واحدة للاسف.. كان يجب أن أرى الخيال أكثر من مرة.

- كان يجب.. وكل شيء كان.

- أنت تستحقين جائزة عن هذا الدور رغم أنه أول أدوارك وهنا استطاعت الصحفية أن تضرب كل العصافير بحجر واحد كانت تريد ان تحرك المياه الآسنة فى أعماقها لها فى سطحها فقط، وتخترق جبهته الداخلية فى آن واحد.. كانت تريد أن تستدرجه إلى أن ترى نظراته الإنسانية من وراء عينيه الجميلتين.. كانت تود أن تستدرجه

إلى شركها الأصلى وربما إلى الفراش فيما بعد بعد أن حدث الإعجاب.

فى ثوان اعترفت بينها وبين نفسها بأن عاطف مختلف، وأنه يملك تلك الثورية النادرة والحنين الرجولى الرهيب.. ذلك الحنين الذى تشعانه عيناه فى وميض خافت.. كان يملك رجولة لا تقاوم ومن هذا اللقاء الحقيقى الأول أدركت لماذا انطلق فى عالم النساء. تذكرت انها خططت لان يكون من سباياها منذ خمسة أعوام.. أدركت أن هذه هى المرة الأولى بعد مجدى يحدث خفقان للقلب من أجل الحب.. أدركت فى النهاية أنه رجل فريد وان عليها ان تستقطبه فأطلقت لنفسها بعض الحرية كأنثى من أجل أن تجذبه.. قالت فى بؤس مصطنع متقن.

- كنت أمثل دورى – أنا الباحثة عن الحب الحقيقى طوال عمرى.

لم يتوقع عاطف هذه الجملة الرهيبة.. انها الآن ترتفع بمستوى الحوار من المستوى العام إلى المستوى الشخصى وعلى الفور وفى ثوان أدرك أنها ربما تكون محاولةً نصب الشباك حوله ولكنه نفى ذلك لاعنا السياسة التى أصابته بوسواس الشك فى كل شيء.. أصبح أمام حالة انسانية فريدة.. فها هى الخيال أمامه وها هى فرصة سانحة لان يسبر غورها، ها هى عشيقة سميح، ها هى الحالة التى تعود أن

يضع فيها محاوراته من النساء من أجل أن يصل إلى ما يريده وهو الحقيقة ورد..

- مثلت دورك باتقان مذهل يا أستاذة دولت.

- أنا على رغم كل هذا الصيت والمكانة، وحيدة.. الانسان فى القرن العشرين وحيد رغم كل شيء.

- ومن منا لا يشعر أنه وحيد.

- الحياة بلا متعة.

- ليس إلى هذه الدرجة.

- وأنت..؟ هل حياتك السياسية فى ظل فوضى العالم ممتعة.. أنت قلت (المعارضة آسنة) معنى ذلك - ان سمحت لى – ان حياتك أيضاً آسنة.

- حقيقة.

- تبحث مثلى عن الحب؟

وهكذا استطاعت أن تدلف معه إلى حياته الشخصية.. فهذا ليس الحوار الأول ولن يكون الأخير، وفى نفس اللحظة أدرك فعلاً أنها الخيال فقد استدرجته إلى الشخصى من حياته وكان يجب عليه أن يفلت.

- لا.. أنا لا أبحث عن الحب.. أنا أحب زوجتى.

- تقولها كتصريح سياسى.. أدركت أنه يراوغ قررت أن يكون هناك نهاية للحوار، ولكن عليها أن تختم المبارزة بطعنة نافذة.

- دعنى أقول لك شيئاً يا أستاذ (عاطف) أنت مختلف وتستحق أن تقود المعارضة فعلاً، ولكنك ككل سياسى تراوغ وأنا ككل إعلامية عليّ أن أعلم الحقيقة.. وأنت قلتها ذات مرة (الحقيقة كلما كانت شخصية كانت صعبة)، والحقيقة أنك صاحب حياة آنسة وأنك صدمت فى رد فعل الحكومة والمعارضة لمبادرتك وهذا ما جعلك فى حالة توهج من أجل الحياة الخاصة.. سامحنى، أنت فى حاجة إلى المرأة الكاملة.. إلى الحب.. ربما تقول كيف عرفتُ.. هذا هو الخيال.. هذا هو أنا.. أنا علمت من نظرة عينيك الشريدة أنك تبحث عن الحب.. لا معى ولكن مع العالم.. أنت تحب العالم ولكن العالم لا يحبك وتحب زوجتك ولكنها لا تحبك..

- وأحب ابنتى ولكن ابنتى فى هذه المرة تحبنى.

- أنت توافقنى إذن على كل كلمة من كلماتى.

- ليس الى هذه الدرجة.

- مع الخيال لا توجد درجات.. من حقك أن تتحفظ ولكنى

لا أتحفظ، لاننى أعيش الحياة كما أريد.. أنت الباحث عن الحب.. ولعل هذا الحب هو الذى سيهبك القدرة على الاستمرار..

وأكلمت..

- أستاذ عاطف (هذا كارتى، أى بطاقتى الاجتماعى كما اسميها وأحب أن أسمع صوتك بالمسرة قريباً هنا.. بعيداً.. أمام النيل العظيم حيث تتحدث دون حذر.. مع الخيال.. لا كإعلامية ماضية ولكن كصديقة وفية.. وفى نفس الوقت أعطاها كارته..

- حتما سنتقابل يا أستاذة دولت.. الحديث معك شيق.. أنت تجدين الحوار فى كل شيء.. واسمحى لى أن أقول لك أنك أيضاً مختلفة.. أنت فعلاً كلمة واحدة (الخيال) لم أكن أصدق أنك تملكين هذا الحضور الطاغى ولكنى أدركت.. كم يسعدنى أن نكون أصدقاء..

- أريد أن أسمع صوتك فى خلال يومين.

- سيحدث.. أحب أن أراك ثانية..

وكأنه طفل صغير سارع بعد الاستئذان إلى الباب من أجل أن ينصرف.. الحجر سقط فى البحيرة الآسنة وقد اندلع الشوق بينهما فى ذات اللحظة، ولكن الموقف كان مختلفاً.. أما عنه فقد كان يعتقد أنه فى خيال.. مستحيل أن ينجذب إلى عاهرة.. مستحيل.. (دولت)

من وجهة نظره مجرد جارية من جاريات الدعارة.. نعم هى هذا الحضور الطاغى والشخصية الثرية ولكنها فى النهاية عاهرة..

أمسك نفسه متلبثاً بالدفاع عنها (ليست عاهرة إلى هذه الدرجة.. كانت قضية وخرجت منها براءة.. مستحيل أن تكون على هذا القدر من المكانة وعاهرة.. انها جميلة.. آخاذة.. لا يمكن أن تُقاوم) لام نفسه أشد اللوم لهذا الدفاع ولكنه فى النهاية اعترف بينه وبين نفسه بأنه معجب بها.. كان من الصنف الذى يصارح نفسه مقاوماً الوهم.. فى لحظات بينما كان يرتشف الشاى فى حجرة مكتبه مبتسماً أدركها.. أدرك إعجابه بها.. قاوم.. احتار.. تساءل (كيف؟) ولكنه قال.. (إنها بداية حب يا عاطف فاحذر..) (المياه الآسنة تحركت.. انها ثورة بشرية.. تعرف كيف تضحك.. كيف تبتسم.. كيف تتكلم.. كيف تُوقع.. كيف كل شيء ما عدا الحب.. لاننى آخر من تحبه امرأة.. وهى كل النساء فى امرأة.. أنا مشرف على الخمسين.. لست بالثرى.. كل ميراثى هو عقلى وابنتى.. لا أملك معها شيئاً.. ماذا سأعطى هذه الفاتنة؟ كلهم قالوا أننى أستحق قيادة المعارضة ولكنى أرفض كل ذلك.. المعارضة انتهت تماماً والحكومة فى صراع مع العالم والجات أكلت كل شيء.. كل شيء فوضى.. اكتئاب.. مرض.. مجاعة.. وأنا أشعر

أننى ضعيف متهالك بدأ الصلع يأتى عليّ والتجاعيد تتولانى.. وفى دربى لاتخاذ قرار بالعزلة وفى لمح البصر تخترق الحواجز لتحدثنى عن الحب؟!!، هى قوية.. يا عاطف هذه بداية غير موفقة.. والأمور تفلت) الحقيقة أن عاطف قد بدأ فعلاً يشعر بتململ فى حياته بمجرد أن حدثها.. ساتطاعت بثوريتها ان تحرك الدماء فى شراييينه.. استطاعت أن تبعث الحيوية فى حياته.. استطاعت ان تكون المعامل الواضح فى دفعه دفعاً إلى الاعتزال.. والحقيقة المؤكدة أن هذا كله كان بداية الحب.

أما هى فقد كان الموقف أكثر صعوبة.. عاطف ليس بداعر وأشد ما يواجهه هو ان يبتعد عن حب مخيف سيقوده إلى الهاوية من وجهة نظره ولكن دولت شيئا آخر.. السؤال الذى كان يدميها بعد أن تركها عاطف وحيدة.. هل بدأت تحب؟، فاجأت نفسها فجأة بسؤال رهيب.. هل تريد أن تحب؟.. كان وقع السؤال رهيباً فقد أنفقت من عمرها خمسة عقود تبحث عن الحب ولكنها الآن وهى على أعتاب الحب تتساءل هل تريد الحب أم لا؟.. كانت حصيفة.. أدركت من عاطف انه فعلاً مختلف تماماً، وانه يملك الشخصية الآسرة العظيمة، وهو الوحيد الذى استطاع ان يصمد أمام شبح مجدى

- حبها الأول والأخير - كلاهما كان فارساً.. الأول مات شهيداً فى حرب المدرعات بأكتوبر، وعاطف تعرض للموت عدة مرات من جرّاء مجابهته لأخطبوط رجال الأعمال والفساد.. كلاهما يملك فلسفة.. كلاهما رجل.. كلاهما نموذج لا يتكرر.. وقد حدث.. قلبها أخذ يفور.. نفسها تتوق إلى مزاملته.. كلها يهفو إلى غرامه ومطارحته الغرام.. أدركت لأول مرة أنها بصدد الحب المتاح لأول مرة منذ خمسة عقود ولأول مرة فى حياتها.. ولكن عاطف شيء آخر.. عاطف رصين وجاد.. وشخصيته نافذة.. سيأخذها من سميح الرهيب لاشك ولكنه سيمنعها من الدعارة.. هى رتبت حياتها على حب من نوع آخر لا شعورياً.. حب لا يمنعها من ممارسة الحرية التى تريدها.. استطاعت فى ذهولها وفى خلال دقيقة واحدة أن تدرك أنها على وشك حب حقيقى نادر لن تعوضه، بل لن تحب بعده لأن عاطف هو فارس الفرسان الثانى بعد مجدى وان البحث عن الحب من زاوية أخرى مسألة منتهية وأن هذا الحب سيمنعها عن حريتها.. فما الخلاص من هذه المأساة؟.. على الفور ردت (لا أعرف).. كان الشوق يأخذها إلى عاطف.. وكان عاطف يأخذها إلى حزن الحرمان من الحرية..

فى لحظة فريدة فى حياتها قررت قرار حاسماً.. (لن أتركه) لن

أترك عاطف وإن أحببته.. سيكون لى كل الرجال.. سأتعلم الوقار.. ولكن كيف أمنع الفجيعة؟.. عاطف لن يتزوج بعاهرة وحبى الوقاد له سوف يقودنا إلى مأساة.. مأساة الفراق ومأساة الصراع مع ألد أعدائه سميح.. اكتسحها الاضطراب.. وقادها ذلك إلى أن تذهب إلى لبنى. كانت كلما احتواها الاضطراب تذهب إلى بيت مجدى.. تذهب إلى نفس البيت الذى شاهدها حبيبة وشاهد مجدى نفسه وصديقة العمر لبنى وزوجها رشدى المهندس المنتى إلى الطبقة الوسطى ويكافح من أجل الحياة.. فى هذه المرة كانت تود - لا شعورياً - أن تمنع الحب.. كانت تود أن تنغمس فى ذكرياتها مع مجدى فتمنع عنها الحب الوليد الهادر مع عاطف.. دفنت وجهها بين كفيها وهى مستسلمة، ستذهب إلى مجدى بعد عام كامل من البعاد، ستذهب لترى صورته المعلقة فى الصالون وتراجع كل كلماته من جديد، ستتذكر كلمات الفيلسوف الواعظ.. من جديد ستدور فى نفس الدورة.. من جديد ستتذكر كلمة رقيعة.. من جديد ستتذكر كل ما تود أن تنساه.. من جديد ستندهش كيف وصلت إلى هذه المرحلة من القوة وهى لا تزال لا تستطيع أن تمنع نفسها من حب منذ أكثر من ربع قرن.. (؟!!) وعندها قالتها (لأنه الحب).. كان الشيء الذى

يؤلمها أن (لبني) كانت تعلم بالحب رغم انها لم تحدثها مرة واحدة بهذا الحب الدفين بينها وبين أخيها. وكانت تتلصص النظرات فترى – وهى القارئة الجيدة للغة العيون – فى عيون لبنى السؤال (أمازلت تحبينه؟!!) وكانت ترد بكل كيانها (نعم..)، عندما رفعت وجهها هالها أن دموعها تملأ كفيها.. تساءلت (دموع؟!!) فابتسمت ابتسامة رقيقة لانها دائماً تنسى انها امرأة، والمرأة بطبيعتها ضعيفة.. قالت (نسيت اننى يجب عليّ أن أدمع ككل النساء) (نسيت أننى امرأة) وعندما رأت الدموع كان كل كيانها يقول ويقرر انها فى طريقها إلى محبة عاطف مهما كانت العقبات وانها ستتخلى عن كل عالمها فى سبيل هذا الحب وان الدليل على ذلك:

أولاً: هو هذه الدموع الغزيرة والتى هى مزيج بين دموع الألم والعذاب ودموع الفرحة لانها أخيراً سعيدة بالحب الذى وجدته وبالرجل الذى استحوذ على كل اعجابها حتى لو صمد هذا الحب من طرف واحد سنوات طوال.

ثانياً: انها تذهب لأول مرة إلى بيت مجدى دون أن يكون لمجدى هذا الثقل الرهيب فى نفسها لأول مرة منذ ثلاثة عقود..

وثالثاً: أن قلبها هو الدليل..

قامت.. أدارت السيارة وفى عينيها فرحة الطفلة الجميلة التى لاقت هدايا العيد ولأول مرة منذ زمن طويل تشعر انها مطمئنة تحت سماء الله..

قادت السيارة بكثير من الطمأنينة وقد ابتسمت ابتسامة الضالين الذين وجدوا ضالتهم وهتفت سأحبه.. سيعوضنى حرمان السنين.. سيقتل مجدى فى داخلى لاتحرر منه.. ولن أذهب إلى المنيرة مرة أخرى الا زائرة لا صاحبة غرام مفقود.. فى دقائق كانت أمام الشقة.. استقبلتها لبنى استقبالاً حافلاً، ولكن كيانها كله كان مع كل لبنة من لبنات الدار.. الشقة ثلاثة حجرات وردهة.. هذه هى الحجرة المعنية.. حجرة مجدى.. فى لمح البصر عاد الشوق إلى مجدى ولكن لأول مرة شعرت أنه ذكرى.. كان الاشتياق إلى عاطف أشد.. مرت الدقيقة الهامة الأولى منذ ولوجها الباب، ولا شعوريا، استراحت الى اختيار الحاضر، لم يكن الاحتياج إلى الفيلسوف الشهيد كما نسميه بثقل الماضى.. كان تيار الشعور مختلط بين عبق الماضى ورصانة الحاضر.. بين ذكرى مجدى وحضور عاطف وهنا أدركت أنها بالفعل على اعتاب التغير الجريء فى حياتها.. ذلك التغير، الحب، الذى انتظرته ربع قرن كامل.. ضحكت وعلت ضحكتها فقد أدركت أنها تودع الماضى..

حدث فى لمح البصر ما عكر الصفو.. ظهر مجدى فمن هو مجدى؟ مجدى هو مجدى الثالث، فمجدى الأول هو الشهيدوالثانى هو ابن دولت والثالث هو ابن لبنى.. هو الطبيب القادم فى السنة الأخيرة بكلية الطب.. ظهر مجدى، ذلك المجدى الذى لم تشاهده الا مرة واحدة منذ أن كان فى الخامسة عشرة من عمره.. والصدمة ان مجدى الثالث كان قريب الشبه لمجدى الخال.. نعم كانت دولت تريد وداع الماضى ولكن الماضى لا يريد أن يودعها.. كانت لحظة رهيبة.. سكت الجميع اذ دخل مجدى الثالث فى وجه متهلل يحمل عنفوان الشباب يقول مستبشراً.. (السلام عليكم).. مرت عشرة ثوان ولكنها كانت كالدهر.. كانت دولت تضحك إثر تذكرها القطار الهدية، دخل مجدى وصفعها بملامحه القريبة إلى مجدى الشهيد، ولأول وهلة وجلت وصمتت فى ثوان دارت مخيلتها إلى كل الذكريات، كأنها رأت مجدى الشهيد.. كانت الصفعة القدرية هائلة فقالت فى ذهول (مجدى؟!!!)..

الحقيقة أن الملامح كانت متباعدة ولكن الجبهة والعينان كانتا متماثلتين، وكانت تعرف مجدى من عينينه.. لاحظت الام لبنى صمت دولت.

- نعم.. مجدى ابنى.. أنت لم تريه يا دولت منذ سبع سنين.. انه

مجدى ابنى.. الطالب بالسنة النهائية بكلية الطب.

تنهدت دولت وأطلقت اسمه فى كثير من الهدوء..

- مجدى.. نعم.. تذكرتك.. كنت ساعتها فى الخامسة عشرة من عمرك..

- أهلا يا طنط..

كان يحمل البالطو الأبيض على كتفه وقد تدلت من بين كفيه السماعة.. لأول وهلة أعطاها تأثير الشباب، تدفق الدم إلى وجهها.. شاب فَتيّ هكذا نطقت نفسها.. وعندما أخذت يمناه بيمينها سرت رعشة باردة فى يدها وجسدها لان يمينه كانت باردة الملامسة وهذا كان أول ما تحرص عليه عندما ترى رجلاً أو شاباً لأول وهلة.. عالجها بنظرة بريئة، جلس إلى المقعد بينما راقبته هى فى اقتدار. كان أول ما لفت نظرها هو آثار السجود فى صلاة مجدى على جبهته وقد كانت قريبة إلى حد ما بآثار سجود مجدى الشهيد على جبهته فضحكت نفسها ضحكة صفراء وقالت فى سرها (رِضوان).. نعم كانت تريد أن تترك الماضى ولكن الماضى لم يتركها.. المشهد كان عادياً إلا من شيئين، الأول هو الملامح والروح والثانى هو الاسم. الحقيقة اللاشعورية هى روح الثأر لديها، وأيضاً الرغبة الحارقة على الوصول إلى الماضي ومعايشته مهما كانت الصعوبات.. هذا الزيغ الذى اكتسحها حولها

إلى قليلة الكلام.. هذا الزيغ هو التفسير اللاشعورى بأنها تحاول الوصول إلى حب الماضى عن طريق الحاضر.. اليوم كان عصبياً.. اليوم يوم جمعة بدأ بأسامة الذى بعث فى نفسها كل الحنين إلى الحب عبر لقاء رهيب، مزيج من الجنس والشذوذ والسادية.. ووسطه الحب الجديد الهادر عاطف الذى أدركت فيه أنه المختلف وانه الذى استطاع الصمود فى وجه مجدى الفيلسوف الشهيد.

القدر لم يمهلها اذ به يصفعها بان يعيد اليها أشد حد ممكن من التشابه بين الشهيد مجدى ومجدى الطبيب، وهكذا ففرصة تعويض الماضى لا تزال سانحة. كيف يمكن ان يحدث كل هذا؟، وأين حقيقة الحب لديها؟.. هى نفسها شعرت بانها فى دوامة رهيبة. القوة التدميرية الرهيبة ضد لبنى ظهرت وتوهجت وسيطرت عليها.. قررت قراراً حاسماً فى خلال دقيقة واحدة.. ان مجدى الثالث سيكون لها. لأن حبها له يكاد يتمكن منها ولكن قلبها مازال مع عاطف أيضاً.. أجهدت عقلها فى التفكير، كانت تريد أن تعلم الحقيقة.. كانت هذه هى الكلمة التى تعذبها.. أين الحقيقة؟ ماذا حدث؟ هل يمكن أن يعود الماضى؟ وجدت أخيراً الحب حتى لو كان من طرف واحد وهو عاطف.. ولكن هل يمكن ان يعود الماضى؟ اكتسحتها المرارة

وعاودها الشعور الغريب بفقد دورها فى الحياة وفقد المتعة الأصلية فى استمرارية الحياة.. وهو نفس الشعور الذى داهمها مع القضية.. كان الحوار عن فيلمها ولكنها كانت ترد بينما هى فى عالم آخر.. هى بينها وبين نفسها لا تخفى انها شريرة، ولا تخفى انها تكره فى أعماقها الله كرها عميقاً، ومعه مجدى. وأن حقيقة علاقتها بالعالم هى الكراهية لانها تريد ان تستهلك العالم وتسيطر عليه ولكن العالم هو الذى سيطر عليها، وانها بلا حول ولا قوة إلا قدرات استخدمتها أعظم استخدام، وأن مجدى أذلها وأن الحب الذى بينها وبين مجدى رغما عنها، وانها فى قرارة نفسها تكرهه لانه أذلها، وأن الحب ضعف رغم أنها أذهبت حياتها كلها فى البحث عنه(؟!!) كانت نفسها تموج بكل المتناقضات التى يمكن ان تموج بها نفس انسان، ولكن الحقيقة الإنسانية النفسية تكون راكدة حتى اذا ما دارت فى صراع رهيب انكشفت لصاحبها، وكلما كانت الحقيقة تلقائية وبسيطة ويريد الإنسان أن يخفيها وتختفى عنه يكون الصراع المطلوب لتعريتها رهيباً.. هذا الحوار التلقائى لم يكن الأول ولكنه لأول مرة ينكشف بهذا الجلاء.. دولت أعلنت الحرب على العالم منذ سن الرابعة عشرة وهى تعلم ذلك وأن علاقتها بالعالم هى علاقة الشر ورغم ذلك فهى

أنثى تعلم بالحب أى انها فى قرارة نفسها تقرر الا تحب ولكنها فى طريقها فى الحياة تبذل كل ما فى جهدها من أجل أن تحب.

تقول فى ذلك (أن هذه طبيعة الخلق)، ولكنها تكذب. الحقيقة أنها متناقضة وضعيفة والحقيقة أنها فى وقت واحد أنثى شريرة فهى تمارش شرها بالجبروت والدعارة وتمارس ضعفها أى أنوثتها بالبحث عن الحب، ولكن العلاقة الأساسية بينها وبين العالم هى الرغبة الأكيدة فى السطيرة على كل ما تستطيع السيطرة عليه من مال وسلطة ونفوذ وأنها بذلت كل ما فى وسعها لذلك، ولكن القضية قصتها.

منذ هذه القصة وهى تشعر بالهزيمة لأن لقب الداعرة فصلها عن رغبتها فى السيطرة بعدم الامكانية لأن اللقب حولها إلى مجرد خليعة لا تصلح للقيادة لا فى الجامعة ولا فى الإعلام ولا حتى فى المجتمع وجوهر كل الحقائق هو:

أولاً أنها أنثى، وثانياً أنها شريرة، وثالثاً أنها لا تحب، ورابعاً أن علاقتها الوحيدة بالمجتمع هو استهلاكه للوصول إلى القمة فيه وسحقه ان لزم الأمر، وخامساً أن رحلات الحب فى حياتها – كما تقرر وتفسر هى – ما هى إلى رحلة من الضعف لم تستطع أن تتخلص منه وهذا ما اعتبرته عاراً. وهكذا جاء هذا الشاب مجدى ليحول حياتها

إلى جحيم.. فقد أعاد بعث الماضى فى صورة الحاضر مما فتح شهواتها وهو فى نفس الوقت ابن لبنى وهى على علاقة شريرة بكل امرأة شريفة، لبنى لها معها أكثر من ثأر.. فلبنى هى رمز عار الماضى كله، هى التى تذكرها بنظراتها دوماً بحبها إلى مجدى، وهى الشريفة، وهى المنافسة لها فى كل فصول الدراسة السابقة، وهى الجميلة، وهى فى النهاية أخت مجدى وأم مجدى.. هذه الشبكة من العلاقات النفسية رفعت درجة حرارة الشر فى أعماقها وسخّرت لا شعورها من أجل تحطيم لبنى من خلال ابنها. وقد حاولت سبعة مرات أن تخطف زوجها رشدى ولكنها أدركت فيه الشرف وأدركت فيه حبه العميق للبنى، قالتها فى كل مرة (لعنتى عليك قادمة).. هكذا جاء الشاب مجدى فى زوبعة نفسية عارمة.. رغم كل ذلك حاولت جاهدة ألا تنساق فى هذا الشعور المخيف للانتقام من كل الماضى فى صورة الطبيب مجدى.. كانت تريد ان تحافظ على توازنها النفسى وتطفىء فى نفسها جذوة الصراع وتُذهب الطبيب مجدى إلى خاله وتكتفى بأن تمارس ضعفها مع عاطف حباً ولو من طرف واحد خفيٍّ، ولكن قوة شرها كانت أكبر من كل ذلك.. أخذت تنظر إليه ملياً.. نفس العينين.. نفس الجبهة الشامخة.. ابن لبنى.. حفيد مجدى..

إن مجدى ابن الطبقة الوسطى.. شاب فى الثانية والعشرين من عمره.. داهمتها أنفاسه حتى أعماقها. سولت لها نفسها بأن تشتهيه، كانت تشتهيه متعمدة حتى تحببه إلى نفسها، ولكن المعامل الخفى فى النفس الإنسانية حدث وأصبح لها حبيبان.. الشاب دخل قلبها.. بدأت تشعر معه بنبض الشباب.. كانت مع عاطف تشعر بالحياة كلها ولكنها مع الطبيب مجدى كانت تشعر بالشباب ببعض الحياة ولكن السر معه أنه كان يشبه الشهيد.. وعلى الفور أعملت كل نفسها تفسيراً، فإذا بها تصطدم فى انها بدأت تحبه لنفسه.. كانت فى الظهيرة مع داعر من مجموعتها الجامعية القديمة بث فيها الحنين الرهيب إلى حب الماضى وعندما جاء المساء كانت بين حبين كلاهما أصابها.. تساءلت كيف(؟!!!).. أنا لا أريد أن أحب الا عاطف اذا كان لى أن أحب.

مجدى صغير وهو رمز الانتقام.. كيف لى أن أحب من هو فى سن أولادى.. مستحيل(؟) كان مجدى شاباً عادياً ولكن كان به الشيء الاخاذ.. انه الروح.. الحضور، كان هذا ما ورثه من الشهيد مجدى خاله.. الشاب لم يكتف بالإرث بل أزاد عليه أنه من جيل القرن الواحد والعشرين.. جيل المحمول والانترنت والجات.. كان يحمل بين

جنباته كل الشارع بما فيه الكنيسة والمسجد وجلبة المواصلات.. كان يملك مجدى ذلك الشيء الساحر انه الإصرار والعناد والقوة.. كان عنفوان الشباب والتحدى فى روح مرحة جميلة وشخصية جذابة.. وعينيان سوداوين مثل خاله يكادان ان يكونا بنفس درجة السواد.. وشخصيته على كل هذا تملى بوادر طبيب مفكر فقد كان مثقفاً وقارئاً.. كان كل شيء يباعد بينها وبين الطبيب مجدى ولكن عنفوان الشباب والرجولة والتشابه مع الخال الشهيد أدخلوا الطبيب إلى قلبها، ولكنها كانت واضحة.. هذا حب غير أصيل ليس بعنفوان حب عاطف كانت ضعيفة فأخذتها المفاجأة وقالت.. (أحبه.. أو سأحبه).. كان كل هذا يضغط على نفسها وترفضه وكادت أن تقوم من مقامها إلى حيث الانتحار لتتخلص من نفس اسمتها (النفس القذرة) ليس لانها شريرة فهذا مجدها وفخارها ولكن لانها ضعيفة، ولكن الاستاذة دولت والتى لم تستشعر الامان يوماً لم تكن تعلم ان النفس الشريرة ضعيفة.. ورغم انها معلومة منطقية بسيطة ابتدائية ولكنها كانت غائبة عنها، وعندما أدركتها من فطرتها وهى تفكر، لم تصدق أن الشرير ضعيف. كان هذا وابالاً عليها لانها دائماً ما تتهم نفسها بانها ضعيفة وان ضعفها هذا هو الذى مكن منها الشذوذ

والسادية وسقطاتها فى بعض الأحيان مع قاع المجتمع مثل ممارستها – على حد قولها – القذارة مع البواب.. وعندما تتذكر البواب تهتاج نفسها غضباً، لأن مجدى الشهيد لم يقل لها حدثاً إلا وحدث وقد تنبأ بأنها سوف تزنى مع السفلة بخاصة البوابين، وقد كان، فأحد عشاقها الآن بواب البناية التى تقطن فى دورها الثامن الآن، من أجل هذا فهى تلعن فى بعض الأحيان أنوثتها لأنها ضعيفة من أجل ذلك، فقد ابتكرت فى شذوذها الشيء العجيب فعالم الشذوذ واسع ورهيب وهى قد ابتاعت عضو ذكرى من اوروبا من بلاستيك ارتدته وضاجعت به الرجال أى لاطت بهم من موضع أنها هى الذكر وان هذا هو الشذوذ الحقيقى والمتعة الحقيقية من وجهة نظرها، وان هذا هو ما تدخره للبواب ذات يوم ولسميح بالتأكيد ولم تكن تضنى على مجدى الشهيد به وكل ذلك انتقاماً من كل مَنْ يضاجعها، كل ذلك لترد على القدر أنها أنثى وأنها هى من يلاط فيها فقط دون الرجال فليكن الرجال مثلها، بل كل العالم مثلها وبها.

كان هذا هو الموقف الآن.. النيل وقد دُك بالآلاف الحجارة وكان هذا هو نفسها.. تحب من وتترك من.. بل هل تحب أم لا..؟.. تقتل من ولا تقتل من؟ من هو صيدها الجديد؟ ما هى ثروتها بعد

عام؟ ما هو فيلمها الجديد؟ عشرات التساؤلات.. كانت تجيب عن كل الأسئلة وتدير الحوار بكل اقتدار ولكن نفسها فى واد آخر.. الشر تفجر والحب يعصر قلبها.. عاطف يتوطد.. الشهيد يذهب ويجىء والطبيب يفرض نفسه.. بقى آخر مجدى ألا وهو ابنها.. فماذا عن ابنها؟.. كان ابنها هو حلقة الضعف الإرادية الأخيرة فى حياتها.. كانت تحبه حباً كبيراً ولكن كامتداد سيعيش بعدها، ولكنه لم يكن حباً أصيلاً بل حب على طريقتها.. تارة فى قمة وجدانها ونفسها وتارة ابن عاق وكلب ابن كلب لابد ان يذهب إلى الجحيم، الحقيقة ان ابنها كان الأمل الأخير فى كل حياتها، وكان حبه هو المقيم أودها.. لان حياتها جدباء.. من مهد إلى مهد.. ومن رجل إلى رجل، مرة يلوط بها ومرة تلوط به.. ومن امرأة إلى امرأة.. مرة تزنى بها ومرة يزنين بها(؟!!!).. حياة كما اسمتها (قذرة) (ليست شريرة بالقدر الكافي) وكان الشيء الناصع فى حياتها هو ابنها، كانت تتابع، كان الشيء الناصع فى حياتها هو ابنها، كان تتابع أخباره عن طريق سميح لانه رجل اعمال ناشئ على الشرف وسميح يتولاه.. لم تكن تعلم دولت ان الانسان فى حاجة ماسة إلى شيء طاهر فى حياته من أجل أن تستمر وأن الأشرار يضعون شرهم مع أولادهم، وانهم يحاولون إبعاد الأبناء

عن نفس المصير.. لم تكن تعلم أن الإنسان من أجل أن يعيش لابد له بؤرة طاهرة واحدة على الأقل وهى على الأرجح تكون الأبناء وبالفعل كان الابن مجدى طاهراً وهذا ما أسعدها (لا شعورياً). كان حبها له هو السد المنيع لعدم انسياح الاكتئاب فى حياتها.. كانت حياتها تمر مرور الفارس من فوق الحواجز فى رشاقة.. تفعل كل ما تريده على أعلى المستويات ولكن القضية جاءت كاللطمة، أفقدتها لأول مرة حلاوة الحياة، وأسلمتها إلى وحدة مريرة وشبق مخيف فى نهاية الأمر، وجردتها من كل حيثيات السيطرة على المجتمع ومنه على أكبر قدر من العالم. منذ هذه اللحظة وفكرة الانتحار تراودها ولكنها كانت تتعلق بأستار الحياة فى كل مكان.. ذهبت إلى كل النوادى.. سارت فى كل الطرق.. طرقت كل الأبواب حتى نجت من الوهدة الرهيبة.. ولكنها خلفت لديها المرارة والألم والبؤس. نهايةً، لم يعد لها إلا ابنها المباعد وقد زرع ببعده حبه الطاهر فى قلبها ليكون البؤرة الطاهرة الوحيدة فى حياتها.. وهذه هى نهاية المطاف فى هذا اليوم.. حبان.. حب له بعد انتقاميّ وحب عميق هادر خصب هو حب عاطف، وفى النهاية قررت القرار (كل شيء، سأحبهما وسأتمزق، ومن سأحبه فى النهاية سيكون خلاصي).

كان قرارها يعنى السيطرة على مجدى واستلابه نهائياً من لبنى ولكن ذلك يستلزم خطة.. كانت تعلم أن رشدى فى سفر وقد علمت أيضاً أن الابن بمفرده فى الدار غداً بعد السابعة مساءً.. قررت أن تهاجم فى عقر دارها.. قررت أن تأخذ مجدى الطبيب فى نفس الحجرة التى فقدت فيها مجدى الشهيد. على الفور دعت لبنى على العشاء غداً فى بيتها من أجل أن تذلها بالمستوى المالى الذى ستغمسها فيه لثلاثة ساعات ومن أجل أن تبعدها عن مسرح الأحداث لانها ستكون فى البيت فى لحظة انفراد الطبيب بنفسه بالبيت أيضاً، وفى نفس الوقت الذى ستكون فيه لبنى فى بيتها على النيل ويمكن تسكينها بمكالمة عبر المسرة خاصة ان هذا حدث مرتين من قبل. إن هذه الخطة هى نفسها الخطة التى وجدتها عندما انفردت بمجدى الشهيد منذ أكثر من ربع قرن.. قبلت لبنى الدعوة مرغمة فقد كانت الوساوس تأخذها وكانت تعلم أن دولت منحرفة ولكن لم تكن تعلم أنها وصلت إلى هذا الحد الرهيب من الانحراف على حد زعمها..

أشد لحظاتها قتامة هى لحظات العودة إلى الدار رغم أنها أيضاً (الخيال..) لهذا دارت بالسيارة بطول الكورنيش.. كانت تحب النيل والقاهرة ليلاً ولكن كل ما سبق اليوم كان القوة الدافعة لتكون طريدة

الدار حتى منتصف الليل.. كانت تعلم ان بين جنباتها قصيدة مبتورة، وكانت تعلم أن آلامها شديدة وأن تناقضها رهيب وان القتامة.. رغم اليوم الذى وجدت فيه الحب.. تكتسح حياتها.. كانت تعلم ان نهاية كل ذلك، بأن تنسى بامتهان نفسها مع البواب.. كان كلما صدر منها ضعف أنثوى تضع نفسها بين يدى البواب، عبدالرحيم الصعيدى، لينكل بها، ليمارس معها أشد أنواع الفجور والسادية والتوحش والصفع، ثم لابد أن يبول عليها ويتركها جثة هامدة.. كان هذا هو ما أرتاحت إليه نفسها فى كل مرة.

قصة تعرفها على البواب أنها كانت عائدة ذات مرة إلى دارها فسمعته يؤلم زوجته فى الجماع إلى حد السادية، فأعجبت به، وفى المرة الثانية رأته وهو يضربها لهذا وجدته هو الإهانة الحاضرة بين يديها كلما أرادت أن تؤدب نفسها.. أما قصة ترويضة فقد كانت سهلة، وبالأمر، لأنه لم يكن البواب الأول. لم تكن قصة عثورها على من يهينها من سفلة المجتمع (كما تسميهم) المرة الأولى بل كانت المرة العشرين والكل يضعف أمام (الخيال..) أرادت أن تذهب إلى الدار عندما تنام زوجته فى الواحدة صباحاً وهى الآن فى منتصف الليل.. أرادت أن تتخلص من القصيدة التى احتوتها منذ أن قابلت

عاطف فأخرجت ورقة وقلم وأخذت تكتب:

والتقينا

وما العالم وقد التقينا بعد كل الفراق

يقولون أن بيننا الحب

أقول لك كل ما بيننا الفراق

فإذا ما التقينا بك دون لقيان

ذاب عنى وعنك كل الفراق

أتسألنى كم التقينا.. أسأل كم روح قد أنارت قلب مشتاق

الزمان بيننا كان الفراق اتساق

والزمان الآن لحظة واحدة وقد توقفت

فأنت الآن زمان وقد صار كل الحب التقاء

قد وقف نبض القلوب، لتكون فى كل الحياة الدماء

لتكون روحى ان أردت

لتكون فى الحياة سرى وعلنى والماء

قد كان اللقا قبل الماء

فصار ما بيننا قدراً من حب السماء

فلا تسألنى كيف التقينا

لأننا العشاق فى ثنايا الهوى التقينا

ولا تسأل الزمن قبل اللقا

واعذرنى

واعذرنى.. لاننى فقدت معك آلائى

الشعر صار نثراً

والنثر صار وجدانى

(انتهت)

وكان البواب.. عندما أدركت بالغد لبنى فى دارها الذى تعتبره عرشها الذي هو بالدور الثامن، عندما أدركت أن لبنى فى موطن عرشها كانت المكالمة تعالجها بأنها ستتأخر عنها ساعة واحدة، وأن الخادمة.. والتى لها مواعيد محددة.. سوف تتولاها، وتحججت بأنها على موعد مع أحد أفراد الحكومة.. نهبت الطريق إلى الطبيب مجدى.. كان كل شيء معد.. الخطة فى ذهنها واضحة.. ستذهب اليه وتراوده عن نفسه أولاً ثم ستأخذه مع الزمن فى رحلة حب عميقة واذا ما رفض من خلال المراودة ستقول لامه أنها توقعت أن تعود إلى البيت فلاحقتها لانها تأخرت عليها لهذا اختارت موعد الثامنة مساءً.. الإضاءة فى حجرته.. وهى التى اعتادت على الوقوف هنا مراراً منذ

ثلاثين عاماً.. خافتة، لابد أنه يستذكر دروسه، رددت (دروس نسا وولادة طبعاً).. المهم أنها حددت كل شيء فى دقة بالغة وكالعادة.. العطر الداكن وفك أزرار الصدر ورداء فوق الركبة ليظهر ذلك الذى أسمته (القديد). فى خلال دقيقة كانت تدق الجرس ومنه إلى الداخل.. كان الحوار العادى منضبط وهو مقدمات الحدث.. الأسئلة العادية التى تستغرق الدقائق الأولى من اللقاء حتى تتشبع الدار بالعطر الداكن وحتى تضمن أن كيانه كله قد تشبع بهذا الجسد الذى يصول ويجول فى كل اتجاه.. كان مجدى مأخوذاً بالموقف لانه لأول مرة يتعرض لهذا المشهد وربما لأول مرة فى حياته ينفرد بانثى لا امرأة، وفعلاً هاجمه عطرها فسرى فى أوصاله نوع من النسيم ودارت عيناه على الجسد الناصع الضارب للحُمرة فاكتسحته الرغبة الحارقة للمس هذا الفينوس الرائع كما أسماه.. للوهلة الأولى ساد بينهما الانسجام الا من كلمة (طنط) هذه التى يرددها مع كل جملة، فأخفت مضايقتها من كلمة طنط، وأخذت تستدرجه فى الحوار. واستطاعت بمهارة فائقة أن تدلف به إلى حجرته لترى بعض العظام وبعض أجزاء الهيكل العظمى للانسان فدخلا إلى الغرفة.. كانت الغرفة فى غاية النظافة والنظام وهى هى نفس الغرفة التى قيل لها فيها (رقيعة).

قاومت كل الذكريات، كان كل شيء يأخذها إلى الماضى فقاومت ما استطاعت، ولعل هذا الأخذ إلى الماضى البعيد هو ما الهب شهوتها خاصة ان مجدى شاب ومفعم بالفحولة.. أخذت تسأله عن الطب وعن صعوبة الدراسة فى كليات الطب لأن هذا يحتاج إلى امكانيات وعن الجماعات الإسلامية فى اتحاد الطلاب وهل يحرمون الاختلاط أم لا فأجاب عن كل ذلك بتلقائية بحتة حتى جاء الاختلاط فداهمته.. وهل أحببت بعد أم لا؟..

السؤال كان شخصياً بحتاً وأجاب اجابة اشتمت من وراءها البداية إذ قال (لم أجد المناسبة بعد..).

- هل تريدنى أن أبحث لك؟ صديقاتى كثيرات وأنت (أَمُوُر) وضحك مجدى وازادت.

- أعتقد أنك تكذب.. شاب وسيم مثلك لابد أن تكون له علاقات شتى وأنا علمت الحقيقة من لقائى بك بالأمس.. أنت على علاقة على الأقل بثلاثة فتيات وتشبعوهن حباً خاصة فى المسرة.

ودافع مجدى عن نفسه كثيراً لأن الحقيقة أنه بالفعل ليس له أية علاقات.

- وإذا صدقتك فهل لى أن أسألك هل تريد أن تحب؟

وهنا صعقها.

- يا ريت.

لم تصدق الأستاذة دولت أن هذا رد مجدى شتان بين الخال والابن.. كان الشهيد ملتزماً ولكن الابن على الرغم من آثار السجود على الجبهة يتمنى الحب وهذا شيء آخر وحديث آخر وله محاور أخرى..

- قل لى أى صفات تحب فى المرأة التى تريدها؟

وهنا صدمها للمرة الثانية.

- أن تكون فى مثل حُسنك يا طنط دولت.

وهنا بادرته بالا يقول لها طنط مرة أخرى لأن هذا يزيد عمرها، وعندما سألها عن اللقب قالت له الأستاذة دولت.. كانت تريد رفع التكليف بحرص وعلى مراحل، ولكن المفاجأة التى لم تكن تعلمها دولت أن الأبن قد أصاب منها ما تريده منذ الأمس.. الابن الطبيب مجدى هو ابن الشهيد مجدى ولكن الفارق كان كبيراً لأن الشهيد كان قوياً وصنع انتصار عظيم ولكن الابن استهلك الانتصار.. مجدى الطبيب كان يعلم انها لعوب وهو أكثر حصافة من أبيه وأمه وعندما كبر وتفتحت أمامه الدنيا جاب الدنيا كلها وعلاقاته الممتدة التى يريد أن يتممها بالعمل فى الدعاية فى شركات الأدوية لا كطبيب

ممارس للمهنة.

هذه العلاقات أدت به إلى أن يكون عنفوان هذه الحياة وجزء لا يتجزأ من طاقة الجيل وقد أحاط كل ما سبق من حياة بدراية كبيرة فخطط لمستقبله على أساس المال لا على أساس الطب والدراسة فاختار مجال الدعاية مع شركات الدواء بخاصة الشركات العالمية الكبرى لأن هذه هى الحياة التى استهوته لتكون هذه هى الحياة التى يعبر منها إلى الغرب، لا كمهاجر فهو يحفظ أصوله إلى حد ما، ولكن كنصف مهاجر، لانه يعلم ان الهجرة تُكلل بحياة غير سعيدة.. لقد اختار مجدى طبيب من أطباء الجيل وهو جيل القرن الواحد والعشرين أن يكون نصف مهاجر حتى يخرج من عنق الزجاجة التى فيها كل المجتمع لا أمه وأبوه فقط، وراح يعبر من الآن إلى ما وراء المتوسط والأطلسى عن طريق المراسلات والإنترنت فأصاب عن الغرب ما أصابه.

وقد أدرك بذكائه أن الغرب لن يفتح له ذراعيه ولكنه الذى يجب أنه حدد ماذا يأخذ من الغرب وماذا يعطى مصر والشرق.. كان الجزء الباقى من حياته هو موضع اهتمامه وهو الجنس الاخر.. لم يكن له علاقة نهائية بالجنس الآخر كان هذا مصدر إحساسه بالفشل.

حاول مع فتاة وأخرى ولكن قوبل بالرفض واستقر به الحال إلى أن يُكّون صداقات شريفة مع بعض الزميلات. إلا أن القصة التى تنغص عليه حياته أنه أحب بنت الجيران لمدة ستة أشهر منذ ست سنوات حباً صامتاً وهذا هو سره الأكبر وهو السر الذى لا تسمح الظروف ولا العلاقة لان يقوله إلى الاستاذة دولت.. إذن فمجدى حصيف ويعلم كل ما يجب ان يفعله من الآن وإلى المستقبل ولم يغب عنه أن الأستاذة دولت حديث العالم تريده فى الحرام وقد وقف فى ذلك موقف المذهول لأن ثمة طهارة مازالت باقية فى حياته ولا يريد أن يدنسها. هذه الطهارة من أمه ومن المال الحلال (كما يسميه هو) من أبيه.. كان الحلال وبقايا الصلوات يأخذه من عالم دولت إلى عالم لبنى ورشدى.. كان عليه هو أن يتخذ القرار.. قاوم كثيراً رائحة العطر وقاوم أكثر هذا الخيال وقاوم أكثر سيرتها الغريبة والقضية الساخنة لها منذ سنتين وخرج باستنتاج انه لا يمكن ان تكون عاهرة الى هذه الدرجة التى اتهموها بها. كل هذا مازال معلق بقلب يحمل كثير من الطهارة وهو قلب مجدى الشاب وحيد ابيه وأمه وابن القرن الواحد والعشرين وطبيب الدعاية المقبل على الشركات العالمية فيما وراء البحار.. كان منتهى آماله أن يحب حباً طاهراً ولكنه لم يجده،

فى النهاية كان يود فى ظل كل هذه الصراعات أن يحفر درباً شريفاً من أجل الحياة وقد بقى له من كل حياته الحب فهل يدركه؟.. كان هذا هو السؤال.. كل هذا هو أمله.. هو ابن الاثنين والعشرين ربيعاً، ولعل هذا الأمل مع رغبته فى تجنب ما وراء البكالوريوس من دراسة لانصرافه إلى مهنة الدعاية الطبية هما ما أثرا على تقديراته الجامعية فكانت دائماً جيد..

إذن مجدى كان على دراية كبيرة بما يجرى حوله خاصة من جانب دولت من أجل ذلك داهمها قائلاً هذه العبارة دون وعيه..

- أن تكون فى مثل حسنك يا طنط دولت.

وما أن نطق مجدى بهذه العبارة حتى توقفت دولت عن الاسترسال لان هذا يدخل فى باب الغزل فحدجته بنظرة مفاجئة فأدركت فى عينيه لمعة الفتنة وهنا صرخت من أعماقها نجحت فاسترسلت..

- ماذا تقصد؟

لم يكن مجدى يريد الاسترسال ولكنه وجد نفسه مدفوعاً بالكلام..

- لو وجدت من هى فى مثل حُسنك فحتما سأحبها يا أستاذة دولت..

- أقسم بالله أنك قد أحببت من قبل يا مجدى ولكنه حب فاشل.. الفقر.. العجز.. المرض.. كلها آفات العالم الثالث..

- مجدى.. قل لى.. من أحببت.. حياتك العاطفية تهمنى واستقرارك النفسى يهمنى من أجل أن تذاكر.. مجدى.. الحب مقدس وله أولوية ولابد أن تحب وتمارس الحب..

- الحب مقدس..

- بالطبع.. الحب هو قدس أقداس الانسان ولابد من احترامه ولابد من اشباعه وارتوائه.

- هذه أول مرة أسمع فيها أن الحب مقدس.

- لأنك لم تتحدث بعد مع الخيال..

- أنا أعلم يا أستاذة دولت أنك على قدر كبير من الثقافة وتستطيعين اقناعى بكل ما تريديه.

- ليس إلى هذه الدرجة أنت حصيف وتستطيع أن تناقش.

- نعم استطيع أن أناقش ولكن الخيال (؟!!).. لا..

- أنت ذكى وتفهم كل شيء.

- كان ينقصنى هذه الفكرة.. الحب مقدس.. ولكنها لم تكن بعيدة عنى كل البعد.. لن أخفى عنك شيئاً.. الحب رائع ومقدس فعلاً ولكن لم أجد بعد من تبادلنى نفس الشعور..

- أنت قلت أنك اذا ما وجدت من هى فى مثلى تحبها؟

- نعم.

- بسيطة.. اعتبر أنك وجدتها..

فى هذه اللحظة كان مجدى فى - كما تسميه دولت - (وادى الويل).. كان جاحظ العينين لاهث الأنفاس فقد وصلت رغبته إلى الذروة وقد بات من الواضح أنه لم يعد نداً..

اقتربت منه فى بطء وابتسمت ابتسامتها الرهيبة التى توجز وقوع الضحية فأخذته ابتسامتها..

اقتربت أكثر حتى تداخلت الأنفاس.

- أنت جميلة جداً يا دولت.

كانت هذه الجملة هى الجملة المنتظرة لانها أدركت أنها أجهزت عليه..

طبعت على خده الأيمن قبلة رقيقة وقالت له فى هدوء..

- من الظلم أن تكون قد بلغت من العمر اثنين وعشرين عاماً ولم تمارس الحب.. أنت منهار..

- تماماً..

- ماذا تقصد؟

- أنا بدأت أحبك يا أعظم أستاذة..

كان حدسه يعمل بسرعة الصاروخ ولا يمكن ان يخدع أكثر من ذلك.. عمل عقله فى قوة وقرر أن يحب دولت.. فدولت تناوره وتثيره وتراوده عن نفسه وهو لم يكن يبعدها عنه سوى بعض آثار الصلوات الطيبات التى يصليها وقد ذابت هذه الصلوات مع هذا العطر الداكن ليحل محلها هذه الكلمة التى لم تكن غائبة عن وعيه (الحب مقدس) وقد لفح هواها قلبه منذ أن رآهافى التلفاز ولُفح جسده بجسدها الآن فلماذا لا يتقدم..

- سأعلمك الحب.. المقدس..

وفى خلال دقيقة واحدة كان مجدى يغوص فى جسدها العارى..

لم تكن خطتها هى الجنس بل كانت الحب.. فقد فشلت فى حب الشهيد ولكنها أفلحت فى بدايات حب الابن.. لهذا فقد أخذته الهوينى فأدركت فيه العذرية التامة وهكذا فى خلال ربع الساعة كان قد ارتوى منها.. لم تكن تنوى ان تزيد عن ذلك.. كانت فى أشد حالات السعادة.. اليوم فقط اغتالت مجدى الشهيد واليوم فقط ترد الضربة إلى لبنى الشريفة المجاهدة من أجل لقمة العيش الحلال كما تسميها لبنى، ترد لها الضربة فى أعز ما تملك.. ابنها..

واليوم هو يوم السعادة لانها تخيلت نفسها مع مجدى الخال

فهدّأ ذلك قليلاً من شبق كل الماضى..

اتفقا على كل شيء.. ان يبقى كل ذلك سراً دفيناً بينهما.. وان العلاقة ليست جنس ولكنها علاقة حب طاهر مقدس نقى جوهره الارتواء وجوهر الارتواء هو الجنس ولكن الجنس ليس كل الارتواء فالارتواء يحدث مع قصيدة شعر أو سيمفونية جميلة أو أى شيء من قبيل الابداع والجمال.. كما اتفقا على أن النهاية المنطقية للحب هو الارتباط، وأن هذا الارتباط ربما يكون صدمة على المجتمع ولكنه لابد ان يأخذ الشكل لا الحلال ولكن القانونى وبالتدريج ولكن هذا ليس الآن، اتفقا أخيراً على انها ستساعده فى طريقه الطويلة من أجل أن يكون رجل أعمال، ثم أمهرت كل ذلك بقبلة طويلة.. لم يكن هذا هو كل شيء.. أما عن مجدى فقد أدرك أنه انهار تماماً وأن شخصيته قد انسحقت لانه كان يعلم أن هذا حرام بل قال (الحرام)، استسلم وقال (كلهم يفعلون ذلك) ولكن ذلك الألم أسلمه إلى حالة من عدم الاقتناع فهو مفتون مشوق إلى دولت ولا يحبها. هذه هى الحقيقة وهى الحقيقة التى لم تدركها دولت كما ينبغى، ولكنها كانت تعلم أن ذلك ليس نهاية المطاف. مجرد البداية، وأن الطريق

صعبة لأن الحواجز كثيرة وأن الأمر به بعض التعجيز واللامنطق وانها لا تريد للموقف ان يكون مجرد نزوة، ولكن الأمر، السيطرة الكاملة التى حددت لها شهراً كاملاً لتوطيد علاقة كاملة يكون أساسها الحب الأفلاطونى الشهير ولكن فيه كل ما فيه من الارتواء بين ذكر وانثى.. كانت تدرك أن الطريق صعبة ولكنها نجحت فى أول الخطوات وهى أصعبها، باقى خطوات أخرى أكثر صعوبة وهى الاقتناع التام من جانب مجدى أن السن ليس عائقا بينها وبينه ولكن الشيء الذى لم تحسب له حساب أن حبه قد بدأ يدب فى قلبها أكثر مما سبق.. لم تكن تعلم إلى أين ستقف السفينة، كانت تدرك بالحدس وبالمنطق أنها إلى عاطف وأن حبها الرهيب المتنامى مع مجدى ما هو إلا أصداء الماضى البعيد وذلك الشبق الرهيب الذى يكويها بأن تنتقم من أسرة مجدى الشهيد كلها، ولكن الانتقام سيجيء فى وقته وساعتها ستكون هذه هى أولى مرات ممارسة الشر فى حياتها. الشيء الذى كان ينغص نفسها هو حبه فى قلبها، هو هو الطبيب مجدى، لهذا فقد ذهبت تناقضاتها إلى أقصى ما تذهب إليه وعاودتها فكرة الانتحار لتتخلص من كل هذا السواد، لتتخلص من ضعفها الممتد مع الشهيد ومع

ابنه الطبيب مجازاً ومع عاطف لتقهر هذا النداء الخفى فى داخلها بمناداة الحب والحرص عليه.. فى النهاية تعود تتمسك باستار الحياة من أجل أن تعود إلى السيطرة ومن أجل أن يعود إليها ابنها.. إذن فقد اتفقا.. بعد نصف ساعة، كانت مع لبنى يتناولون العشاء وقد أطلقت ناحيتها كل نظرات التشفى كأنها تقول (نلت منك).

اليوم هو اليوم الثالث واليوم الموعد الذى توقعته لمكالمة عاطف.. ترقبت الموعد وانفردت بنفسها منذ التاسعة مساءً، فعادة ما تكون هذه المكالمات مساءً واستعدت عارية لهذا الموعد.. وجاءت المكالمة بينما ترى جسدها الفتان فى مرآتها الصديقة.. قالتها (هو).. أما هو فقد تحرّق على نار الشوق منذ رآها قاوم كثيراً، ولكنه أدرك ان إعجابه بها يتطور سريعاً فآثر السلامة مع قلبه المنهك واتصل بها.. كانت المكالمة فاترة فى البداية من حيث الاطمئنان على الصحة والمزاج حتى استقرا على أن يراها غداً..

- أرجو ألا تحول ظروفك من تكرار اللقاء.

- أنا الذى أريد أن أراك.

- غداً.

- ليكن غداً..

- مع دعوة عشاء معى.. وحدى.. ومع قطب المعارضة البارز.. ووافق، وهكذا انتهت المكالمة ليبدأ المشوار الذى حتماً سينتهى بما يجب أن تكون عليه البداية.

* * *

اليوم هو اليوم الرابع وقد أطلقت عليه اليوم الفاصل لان الظهيرة كان موعدها مع مجدى والمساء مع عاطف.. وعلى الفور أعدت الخطتين وأعدت التجهيزتين من عطور إلى ملابس إلى طرد الخادمة.. فعطر الاغراء فى الظهيرة ليس هو عطر الإغراء فى المساء وملابس الإغراء فى الظهيرة ليست ملابس المساء وخططها مع الشاب ليست كخطتها مع الكهل..

* * *

دق الجرس وفتحت الباب وظهر مجدى وقد كست وجهه ابتسامة راقية جميلة عذبة تحمل أمارات اللقاء السابق وتبشر بمستقبل جديد مع الفاتنة دولت.. فى البداية أخذته بين أحضانها لأن الخطوة الأولى من الخطة قد نجحت فذاب تماماً.. استقبلته أروع

ما يكون الاستقبال، كانت بداية الاستقبال عدة كئوس من الخمر شربها جميعاً مرغماً، كانت هذه هى ثانى المفاجآت لان الأولى هى الأستاذة دولت، إذ أنها تحرص دائماً أن تكون المفاجأة الأولى فى كل شيء، بالتجديد التام فى شكلها من مكياج إلى قَصة الشعر إلى العطر إلى الملابس حتى أن شكلها يتغير من ساعة إلى ساعة لا من وقت إلى وقت وكل وقت له موضوعه.. الأستاذة دولت قرأت كثيراً من أجل أن تكون مختلفة وبالفعل أصبحت مختلفة.. دارت رأسه مع دولت ومع الخمر ومع المفاجأة الثالثة ألا وهى دارها فى الدور الثامن إذ تشرف بإحدى زواياها على النيل.. كان كل شيء دقيق وفى موضعه وكل الدار من الأثاث الفاخر، وأهم ما ميزه البار الذى به من كل حدب وصوب من كل أنواع الخمور، وحجرة المكتب إذ بها كتب كثيرة رأى انها لم تقرأها جميعاً بعد.. كانت تود إبهاره، وقد حدث ومرت اللحظة المحرجة على عجل عندما رأى صورة ابنها مستقرة فى مكتبها فراحت تقول له (صورة ابني) حتى لا يتوهم انها صورة عشيق لها.. دار فى كل موضع حتى دارت به الدنيا فى غرفة النوم، أخذته بعيداً عنها لان غرفة النوم هى الخطوة الختامية والنهائية.

كان صلب الحوار بسيطاً وقد نجحت فيه.. صارحته بأن حبها لم يتمكن من قلبه بعد ولكن حبها له قد تمكن منها، وأن المجتمع يعيش أسير معتقدات بالية قد عفى عليها الزمن، وأن العصر قد تجاوزها من دين وتقاليد وسياسات وأن الحب هو أقدس شيء فى الوجود ولابد أن يرتوى ولابد أن نبحث عنه وأن تحتويه وأن نحافظ عليه، وأن المجتمع يضع حواجز بين المحبين وأولها السن، والعالم تجاوز ذلك.. السن يقرّب لا يباعد.. وأن مجدى فى سن البداية وأنها فى سن الكمال وأنها تستطيع أن تعطيه نضج الحب وهو يستطيع أن يعطيها عنفوان الحب.. هما كل وليسا جزئين.. هما كل فى حب واحد.. وليسا حبين.. هما الروح الواحدة فى جسدين التقيا وسيلتقيان من أجل الارتواء ليكونا جسداً واحداً بروح واحدة.. وأن ذلك يتطلب سياسة التدريج خطوة خطوة حتى يصلا إلى الحب العميق. قالت أنها هى التى ستعلمه الحب ولسوف تعوض عنفوانه فى حبه بعنفوانها فى حبها له وأنها لا تزال قيد الشباب ولن تهرم وأن التقائٌ بها لابد أن يتحول إلى نقطة فاصلة فى حياته، وانها هى من ستمول هذا التدريج البسيط مالياً. أعدت لذلك خطة بسيطة أن يطالب بالمصروف بصورة

أعلى من سابقه ويدعى أه يدخر من أجل التبرير للتغير المنطقى فى المظهر، ولسوف تساعد أبوه رشدى فى عمل من طرف خفى ليزيد دخل الأسرة.. كانت تود أن تفجر فيه الحياة وقد حدث.. كانت تود أن تكون انفجاراً ودماراً شاملاً فى حياته.. ذلك الانفجار الذى يصهر إلى غير عودة (كل) حياته السابقة ويؤسس لحياة جديدة.. كلها جديد.. من ناحية أخرى..وكانت البداية.. ورقة مالية من فئة المائة دولار.. قالت له (أذهب إلى مكتب الصرافة واستبدل العملة وانفق كما تشاء.. فقد جاء الفرج) لأول وهلة حدث الانفجار لانه مازال ابن الطبقة المتوسطة وابن المنيرة. أخذته ضربة التدمير الشامل واسترسالها فى حياته تغييراً وتدميراً لكل الماضى، ولكن الشيء الغريب ان روح الانتهازية احتوت مجدى وهذا ما غاب عن دولت. التغيير كان رهيباً وصعباً من المنيرة إلى النيل ومن الطبقة الوسطى إلى قلب المحيط الهادر.. ضحك ضحكة صفراء كأنه يقول للأستاذة (وقعتِ).. خرجت من بين ضلوعه طاقة أخرى هى طاقة الابتزاز ولكنه الابتزاز الذكى.. أدرك الشاب كل شيء.. أدرك أنها فى مراهقة الشيخوخة ولكنه لم يكن يعلم العهر الدفين الذى وصلت إليه وحدثته نفسه أنها

تريده وأنها سوف تغدق عليه لطالما أحبته ولطالما ضاجعها ولسوف تنفر منه لطالما شبعت منه.. قصة معادة ومكررة بين استهلاك علية القوم للطبقة الوسطى والدرك الأسفل من المجتمع.. خرجت الطاقة الابتزازية من مجدى فوضع الخطة على الفور وهى أنه يجب أن يتمادى فى محبته إليها حتى تضع هى خط النهاية.. عندما تشبع منه، ذاك لانه لم يقتنع بحبه إليها خاصة أنه ضاجعها.. اعترف بينه وبين نفسه أنها فاتنة وأنه شديد الاعجاب بها ولكنه كان واضحاً جداً لأن نفسه كانت لا تزال فى البداية، بدايات الحياة، لم تتلوث بعد بالابتعاد عن الدوافع النفسية مع حلقات العمر أى الأيام أى بانكارها وبالتالى تلويث النفس بالوساوس، والضعف ذلك الضعف الذى يجبر الانسان على ان ينكر حقائق وجوده النفسية والانسانية لانه لا يريد ولا يستطيع ان يواجهها.. كان صغيراً وقوياً وواضحاً وطاهراً إلى حد كبير فلم تخدعه نفسه، صارحته نفسه بالحقيقة انه مجرد اعجاب وأن الشبق الجنسى جوهره وان الجنس الآن تحول إلى جنس ومال ومن ثم الحياة الجديدة التى يريدها فلماذا لا يتعايش مع هذه الحياة ولماذا لا يستفيد منها(؟!!) كان هذا قراره..

الاستفادة.. مجاراة حب امرأة هَرِمة جميلة بحب بسيط هو نوع من الشفقة أكثر منه الحب.. مجاراة حب امرأة ربما تكون ساقطة من أجل المرحلة التمهيدية التى ستؤدى به فعلاً إلى المرحلة المستقبلية فى الحياة وان الأمر لن يزيد عن ذلك، وأنه فى تمام الثقة أنها هى من ستلفظه. هكذا سيكون قد كسب كل شيء ولم يخسر شيئاً.. سيكسب التجربة هكذا قالها (التجربة) وعدد نواحيها المرأة (الكاملة) والجنس والمال وعالم الأثرياء والمرحلة التمهيدية وممارسة الرجولة وتطورها إلى النضج ولن يخسر أكثر من بصقه على وجهه فى نهاية المطاف، بل إنه حدد النهاية بعام.. إذن أمامه عام كامل من أجل أن يجمع أساس الثروة ويوطد لحياته القادمة بناء على أسس ثابتة خاصة أن دولت بعد القضية.. التى تابعها جيداً لأنها صديقة الأسرة.. لم تفقد قدراتها بعد وأنها تستطيع أن تعطيه بكل سهولة كل مجد المستقبل.. ألا أن الموقف على الصعيد الآخر كان مختلفاً لأن دولت كانت تعتقد أنها خدعت مجدى وأدركت حبه لها واقتنعت بذلك، ولم تعلم أن (مجدي) كان امتداد مجدى الشهيد وأن الطبيب قد خدعها ببعض نظراته الهائمة وأن الماضى قد جهّز لها فرصة اهتبلتها

من أجل أن تنساه أى انها كانت تود أن تعتقد أن الطبيب قد أحبها حتى تنسى حب الشهيد ووقعت فى فخ نفسها فأدركت أنه يحبها لتتخلص من عبء الماضى وتتجهز (لا شعورياً) لحب عاطف أى أن مجدى الطبيب كان هدية الحاضر لتنسى الشهيد به بأن تعتقد أنه يحبها، ولكن دولت تطرفت فى ذلك وسعدت بأن الطبيب يحبها، ذلك الحب الذى لن تتنازل عنه أبداً حتى يظل مجدى الطبيب تحت عينها حتى تشبع من الماضى كله.. على ما يبدو انها حاولت أن تتنسى بالطبيبب الشهيد ومن ثم تعطى للبنى الدرس الذى لا تنساه، وهكذا فهى سعيدة لانها سيطرت على مجدى وانها أدركت منه الحب، وهكذا ضمنت أن تحطمه فى الوقت الذى تريده.. كان كل هذا فى جانب من نفسها ولكن الجانب الآخر كان أن حبها له يستولى على قلبها رويداً رويداً هو هو الشاب الطبيب لا الشهيد.. وهكذا سقطت فى الدوامة وتساءلت نفسها وهى فى ثوريتها تحدد له أطر الحياة القادمة.. تساءلت نفسها.. (هل تريدين الحب حقاً؟.. هل تريدين الشر حقاً؟) هل أنت قوية بالقدر الكافى من أجل أن تدخلى هذه المعركة مع شاب سيؤلمك بملامحه ويجعلك تتمسكين

بالحلم القديم مع الشهيد الذى لم تطوليه؟ عشرات الأسئلة حتى كادت دمعة مارقة تمر من بين جفنيها فاضطربت.. وقالت (لا أعرف ولكنى يجب أن استمر.. لابد أن استمر فى كراهيتى ولابد أن استمر فى خطتى بأن أنسى تماماً ما عشت، لان هذه قمة سعادتى ولابد أن استمر فى خطتى من أجل إعادة السيطرة على موقفى فى المجتمع من أجل العودة إلى جلال الماضى.. لابد أن أستمر فى حب عاطف وحب الشهيد.. سأستمر).. هكذا صرخت.. وفى حب الطبيب الزائف الذى سقط سريعاً ففاجأها ذلك(؟!!!).. ولابد أن تستمر فى حياتها العاهرة مع كل الرجال يلوطون بها وتلوط هى بهم وكل النساء تزنى بهن وتزنين بها.. هذه هى حياتها ولابد أن تمر، بل لابد أن تستعيد عرشها عن طريق الفن بمزيج من موهبة وإغراء من أجل العودة إلى الصيت السابق والمكانة الغابرة خاصة أن كل النقاد قد قالوا عنها (إنها رائعة)، خاصة أن طوائف كثيرة من المجتمع شكت فى القضية واقتنعوا انها قد تكون مظلومة وأن الأقلام الرهيبة والكثيرة التى هاجمتها قد ظلمتها، وأنها قد خرجت من القضية دون أذى كبريئة وعليها أن تعود إلى ما كانت عليه وهنا صرخت (أنا من تركت

الجامعة لاننى لا أستطيع أن أتحمل فى عقر دارى وفى المكان الذى شهد صولاتى وجولاتى وليالى السهر مع الكتب ومع كل ذلك الدرجة العلمية حتى الأستاذية لا أتحمل فى موضع فخرى نظرة من تلميذة ناشئة تغير منى، نظرة تحولنى إلى مجرد امرأة على الهامش، مجرد عاهرة.. لا أستطيع فى موضع مجدى أن أكون مجرد جسد وأنا هنا بالذات عقل كامل وجهد جهيد ولا أستطيع أن أتحمل اعتذار الساسة وكبار الشخصيات عن برنامجى الشهير فى التلفاز وكذا محاوراتى فى الفضائيات، نعم القضية لم تصمنى قانونياً ولكنها أوجدت المبرر لتجريدى من مشوار العمر ومن عقلى.. لن أستجدى، لسوف أقاوم الحياة الآسنة الراكدة من أجل أن أعود إلى الصفوف كأول الصفوف لا كآخر الصفوف)..صرخت نفسياً وهى تحدد لمجدى راتباً كبيراً شهرياً.. صرخت (لابد أن استمر.. لابد أن استمر بكل التناقضات، لشيء بسيط، أننى لا أستطيع أن أضحى بأى شق من حياتى أبداً)، كانت مجهدة عندما وصلت إلى هذه المرحلة من التفكير النفسى المجاور لمواصلة الحديث وعندما أرادت أن تدفن هذا القلق راحت تمهره بقبلات رقيقة لتخرج من قلقها مرددةً (أحبك).. هكذا كانت

الخطورة، لأن دولت لم تكن لتسامح مجدى إن أدركت فيه أنه يبتزها وهى فى مرحلة أخرى ربما لا تتركه وربما تنفرد به حباً دون عاطف ولكنها على أية حال لن تسامح اذا ما أدركت أن الطبيب الصغير الذى تحبه يخادعها ويبتزها.. عندما أمطرته بالدولارات وبالقبلات كان لابد أن يبدأ الشق الخطير من خطتها كان عليها أن تستدرجه إلى دنيا الجنس، دنياها.. كان عليها أن تحوله إلى شاذ وسادى، على أن تشبعه هى فقط دون كل النساء فى المهد.

كانت تريد أن تخلق فيه احتياجاً دائماً إليها لأن الرجل الشاذ لا يمكن أن يترك جنب الشاذة فيرتبط بها فى كل الاتجاهات.. عاطفياً ومالياً وطموحياً وأيضاً جنسياً حتى تجيء اللحظة التى تنكحه هى فتنتقم منه لانها أحبته، هكذا تسيطر عليه تماماً، ولكنها فى تناقضها كانت تخاف من الخطوة الأخيرة فى ممارسة الشذوذ عندما تنال منه بأن تلوط فيه بعضو صناعى لان هذه اللحظة هى لحظة احتقارها له وهى فى عنفوان الشذوذ لا تعرف السدود لانها فى نفس اللحظة لا تريد أن تحتقره لانها تحبه وانها لو نالت منه ستنبذه إلى الأبد.. صرخت (من جديد يا دولت هناك تناقض.. هناك جديد.. هناك

ضعف وشر وشذوذ) من أجل ذلك كانت تحرص ألا تغوص معه فى اللقاء الجنسى إلى درجة الجنون حتى لا تفقده. أصرت على أن توصله إلى مرحلة الشذوذ كان هذا يستلزم منها مجرد أسبوع لأن - كما عهدت - مع الخمر والاندفاع الجنسى المحموم.. والجنس لن يكون هناك حواجز ولن يكون هناك سدود.. وبعد ساعة انتهى اللقاء ولقى مجدى نفسه فى النهاية فى الشارع وقد دس فى جيبه عقله المخمور وخمسة ورقات كل ورقة من فئة المائة دولار ولقاء جنسى وجد نفسه بعدها فى هزال.. انفردت بنفسها بينما ترشف الرشفة الأولى من الشاى وقد أعلمت التفكير لأنها ستكون بعد ساعات فى انتظار عاطف، عندما أكملت الرشفة الأخيرة ابتسمت لانها أدركت ان خطتها ناجحة وانها لأول مرة فى حياتها فى حالة من فيض الحب وما هى إلا شهور وتلقن أسرة الشهيد الضربة القاصمة إما بضمه، (الطبيب)، أو بلفظه شريداً على قارعة الطريق وفى نفس الوقت مع عاطف.

ابتسمت ابتسامة سعيدة هى الأخرى لأنها لأول مرة تستشعر سعادة الحب.. قالت (أنا أحبه.. الطبيب الشاب.. ما أجمل الحب..

لم يضع عمرى هباءً.. وضعفى ليس غباءً).

* * *

فتحت الباب لعاطف الذى جاء إليها على قرار واحد أنه أمام فاتنة وأنه معجب بها وأن الأمر قد يتطور إلى حب وما يحدث ليحدث.. لم يتصور أنها بهذا التأثير الرهيب عليه.. كان مصدوماً ولكنه كان سعيداً.. أخذته السعادة إلى دنياها.. ذهب بقلبه ولكن بقى عقله يقظاً.. قبّل يدها فى كثير من الحنان.. كان العقلان يعملان بسرعة رهيبة.. كانت سعيدة لانها فى كنفه.. الفارس الكبير أخيراً جاء إليها وقبّل يدها.. جاء وفى عينيه الرماديين شوق بائع.. لابد ان يكون قد حدث الاعجاب المتبادل هو الآخر.. أصبح ذلك فى ذمة الثوابت.. كان كل منهما على توجس من الآخر.. كانت تريد أن تفعل به ما فعلت مع مجدى ولكنه عاطف فارس الفرسان وأبو المعارضة. كانت تريد استدراجه إلى الاعتراف بأنه معجب بها كتمهيد لتطوير العلاقة إلى حب كامل ومن ثم إلى التطويع رغم أنها تعلم أن الخطوة الأخيرة مستحيلة.. كانت تعلم عنه كإعلامية وكجزء سابق فى الدائرة الإعلامية أشياء كثيرة. كانت تعلم أن ثمة شيئاً فى عينيه يكاد يكون قراراً قد

وصل إليه.. كانت على يقين أنها لم تخترق الجزء الخاص من عقله وأنها عليها أن تحصل بكل قدراتها إلى ذلك الجزء الخاص.. أما هو فقد كان على علاقة سيئة بسميح وكان يعلم أن لها شطحات جنسية، وقد خاف ان تُستخدم من سميح ضده.. كان معجب بها وأعمل حدسه فى كل الاتجاهات فلقى فى عينها الوداعة، أدرك الإعجاب وكان لهذا مفاجأة لديه.. كان عليه هو الآخر أن يحدد المجهول فى شخصيتها فأدرك أن هناك جانباً خفياً فى عقلها هى الأخرى.. جانباً فكرياً عليه أن يسبر غوره.. إذن فقد التقيا وكل منهما معجب بالآخر وكل منهما أدرك أن ثمة جانباً عقلياً لم يُسبر غوره وعلى كل منهما أن يعلم هذا الجزء الفكرى فى الشخصية من أجل إسقاط الحاجز العقلى تمهيداً لصهر العقليتين بجمار الإعجاب.. كان كل منهما موضوعاً بنظرات الاشتياق، فأخيراً تشتاق دولت وأخيراً يشتاق عاطف عاطف عاطف.. من أجل ذلك فقد قررا أن يتركا بعضهما إلى الحرية مع حاجز نفسى عقلى كسيطرة، المسألة أعمق من ذلك لان الوصول إلى الجزء الخفى فى عقلية كل منهما سيفجر الأراء والأفكار وقد يأتى هذا بالخلاف، ولكن الشبق المخيف لسبر الغور لدى كل منهما كان الوقود من أجل

مواصلة الحوار ولم يكن كل منهما ليضيع وقته.

- أنا لا أخفى إعجابى بقدراتك التمثيلية فى فيلمك.

- أنا أُحدث أبا المعارضة المصرية، الشخصية التى حاولتُ عدة مرات أن أقدمها فى برنامجى السابق وفشلت.. كل كلمة عندك بحساب .. كل نظرة وإيماءة لها ثِقل.. مقالاتك.. ثوراتك.. حملك على آل الفساد ورجال الأعمال.. كل شيء فيك يقول أنك فارس الفرسان وأننى فعلاً على قدر كبير من الإعجاب بك.. ولكنك لا تعطينى حقى.. أراك دبلوماسياً أكثر.

- المعارضون دبلوماسيون..

- وشخصى؟ أنت معجب بى كممثلة.

- أنا معجب بك جداً يا دولت.

- كرم كبير منك أن تنطق اسمى مجرداً يا عاطف.

- أشعر أننى رأيتك من قبل مئات المرات.

- نفس الحنين.

- إعجاب (؟).

- نعم.

- ولكن..

- دع دولت (الخيال)..

- الخيال..

- دع دولت (الخيال) تقول ما تشعر به بعد هذه المصارحة.

- ليكن.

- أنت وأنا.. بيننا انسجام عقلى ولكن هناك بعض الخوف..

- ما علاقتك بسميح(؟).

- مجرد صديق.. انتشلنى من محنة كبرى.. انت تخشى أن أكون رأس سهم منه.. أعلم ما تود قوله.. كل آل المعارضة موسوسون.. لك كل الحق.. الثقة تضاءلت فى هذا العالم.. أقسم لك أن سميح بعيد كل البعد عن موقفنا هذا.

- عيناك قالت ذلك أيضاً.. أنا سعيد بأننى سأكون صديق (الخيال).. لا أريد لكل الماضى أن يكون حائلاً بيننا.

- الماضى تعيس.. أنا رغم كل ذلك وحيدة.. رغم الشهرة والمجد والمال والحياة الإعلامية الصاخبة.. مازلت وحيدة..

- وأنا أيضاً وحيد.

- هناك شيء ما بيننا.

- ما هو ؟

- العقل.

- فعلاً.

- هناك فى أعماقك سر.. هناك فى أعماقك غرفة مغلقة فى عقلك لا يعلم عنها أحد شيئاً.

- وأنت كذلك.

- ليس إلى هذه الدرجة.

- أريد أن نكون أصدقاء.

- نحن ثوار وينبغى أن نتحدث بصراحة.

- سأقول لك السر الدفين يا دولت يا آثرة.

- قله.

- سأعتزل السياسة.

لأول وهلة لم تصدق.. تمنت لو كانت فى قمتها الإعلامية كانت طيرت الخبر إلى كل الدنيا ولكنها على أعتاب مرحلة جديدة من حياتها.. مرحلة الحب. أدركت على الفور أنها قد أصابت منه

الإعجاب الكبير وانها تكاد تكون فى نسيجه العقلى لأن هذا سر دفين لا أحد يعلمه.. كررها..

- سأعتزل..

- لماذا؟

- العالم كله يجوبه الفوضى.

- نهاية ثورى.

- بداية مرجعية سياسية.. أنا لن أنتهى ولكنها بداية جديدة.

- لا تفعل.

- سأفعل.

- أنت مهزوم.. هل كنت تريد السلطة(؟!!).

- لست أول من اعتزل من السياسيين فى العالم.

- أنت رأس المعارضة.

- المعارضة آسنة.. والعالم تجوبه الفوضى.. الشرق كله ممزق وأنا لا أريد أن أضغط على الحاكم.

- أنت مهزوم..

- أنا منتصر.. هناك ضجة للمبادرة التى بادرت بها.

- اندماج المعارضة دون اندماج مع النظام.. هذا مستحيل.

- هذا هو الحل الوحيد.. مصر لم تعد تحتمل وجود معارضة قوية.. الصف يتمزق.. الشعب فى وادى الجات والأسعار ترتفع والحكومة تائهة بين ردهات العالم الحر من أجل منع سحق العراق.. أين كل شيء يا دولت أين أى شيء..؟ العالم ضاع.. الصهيونية أضاعت نفسها بتضييع السلام وأضاعت العالم لانها تمكنت من الأروقة السياسية ولكنها لم تستطع أن تسد فى العقول التى تحكم العالم والمؤسسات التى تقود البشرية..

- أفهم ما تقول.. تود أن تقول أن الصهيونية أضعف مما وصلت إليه وهذا أدى إلى فجوة بين الواقع وبين القوة.. وأنا معك.. بل إن النظام العالمى الجديد كذلك.. هناك إذن عدة قوى.. الصهيونية والنظام العالمى الجديد وأوروبا.. وآسيا الرهيبة وجوهرها الصين واليابان وروسيا..

- الصهيونية هى أساس الدمار، هى ظل النازية وهى العار العالمى.. هى التى حولت العالم إلى ساحة حرب.. العراق فى يوم من الأيام ستُسحق لأنه بالفعل أخطأ ولكن خطأه لا يستحق كل هذا

التعذيب.. النظام فى مصر باطل والمعارضة تنهشه والصهيونية من الخارج تود تدميره.. الشرق ضاع.

- أى شرق يا عاطف.. .شرق صلاح الدين.. أم الإسلام أم العلمانية أم القومية العربية؟

- كل ذلك.

- لا.. حدد..

- شرق الوحدة العربية على الأقل فى أقل حد ممكن.

- الشرق ضائع أساساً يا عاطف وأنت سوف ترتكب الخطيئة الكبرى فى حياتك.. لا تعتزل..

- لا أريد أن أظلم مصر بمعارضتى لاننا وصلنا إلى كل مفترق الطرق.

- عاطف.. أنت تعيش فى أوهام..

- أنا أعلم أن لك آرائك الحرة.

- مصر للمصريين.

- كيف؟

- لا يوجد شيء اسمه العرب أو الشرق الأوسط..

- أنت تهيلين التراب على كل شيء..

- الإسلام انتهى سياسياً بعد الغاء الخلافة وينتهى الان من العبادات إلا مجموعات كبرى فى المسلمين ليتحول إلى شهادة أن لا إله إلا الرحمن فقط..

- حقيقة.. نفقد الأخلاق والدين.

- ما هو بديل الخلافة فى دولة من جروزنى إلى طنجة؟

- لا بديل..

- عاطف.. عليك أن تصارع حتى آخر قطرة من دمك.. لأن المعارضة ليست سياسية فقط بل من أجل رفاهية الإنسانية كلها فى موضعك.. وعليك أن تسلم بالأمر الواقع..

- رهيب.. الأمرالواقع رهيب.. لأول مرة لا أبتغى الوصول إلى الوزارة من أجل الإصلاح..

- عليك أن تواجه كل شيء.. العالم الإسلامى خزلته السلطنة العثمانية وانتهت الخلافة. القوى الكبرى لن تسمح بالعودة الخلافية مرة أخرى ولكن الخطأ الذى وقعت به هو موضوع الوحدة العربية.. العالم العربى ليس البديل عن العالم الإسلامى لأن دولة واحدة مثل أندونيسيا تعادل فى تعداد سكانها معظم الوطن العربى الكبير الهادر

من الخليج الآسن إلى المحيط الداكن.. عليك أن تواجه الواقع.. لا يوجد فى التاريخ ما يسمى العالم العربى وبالتالى لا يوجد وطن عربى له عمق تاريخى وبالتالى لا يوجد وحدة عربية ولن توجد وبالتالى لا يوجد زعيم يحقق الوحدة العربية.. وصلاح الدين لم يوحد العرب بل وحد عدة ممالك فقط بين الشام ومصر واستطاع أن يحرر بيت المقدس بعد قرن من الاحتلال.. عبدالناصر ومحمد على شخصيات وهمية نابليونية مكانهم الوحيد متاحف التاريخ وكل منهم بما فيهم نابليون هزم هزيمة ساحقة لأنك لا تستطيع أن توحد أوروبا بثورة من فرنسا ولا تستطيع أن تواجه الباب العالى من مصر وهى دولة تابعة له فسقط محمد على. ولا تستطيع أن توحد العرب بعد انقلاب ١٩٥٢م لمجرد خروج ثورى طُحن فى كل حروبه.. مهزلة.. لا يوجد عالم إسمه عالم عربى من وجهة نظرى ولكن الصحيح أنه كان يوجد عالم اسمه عالم اسلامى ضعيف.. الفتنة الكبرى وتحطيم آل البيت عبر دولتين.. هدم بغداد على يد التتار الهجوم الصليبى بالافرنج.. تمزق العالم تحت سياط آل عثمان.. دولة المماليك القذرة فى مصر.. عاطف عليك أن تقرر أن التاريخ فيه عار، وأن البديل ليس هو العالم العربى

ولكنه مصر فقط، مصر للمصريين..

- هذا ضياع سحيق.. مصر بمفردها لن تصمد.

- أنت مخطىء.. كثير من العالم العربى عدو لدود لمصر وهذه هى الحقيقة ولكننا لا نعلنها.. وأن هناك دول قزمية أعلنت الهجوم على مصر لمجرد أن السادات قام بالجولة السلامية الجسورة.. السادات هو أكثر من فهم الواقع.. الواقع كله نفاق وقذارة وأن أعداء مصر من العرب.. لان العرب يخشون مصر القوية لانها ستوحد العرب على الاقل جماهيرياً وتسلب الكثير من الحكام هيبتهم فى دولهم.. هذه هى الحقيقة يا عاطف.. الد أعداء مصر من العرب والواقع كله نفاق.. اترك العراق يُضرب.. نعم هو مظلوم هذه المرة.. ولكن الأولى لم يكن مظلوماً ولانه لم يتعلم أبجديات العصر لانه أُميّ لهذا يجب أن يضرب وبعنف..

- أنت تهيلين التراب على ثوابت الوطن.. حتى لو كان هناك عداوات حقيقية بين العرب ومصر فلابد ان نتجاوزها من أجل النفوذ.. من أجل الوحدة السياسية على أقل تقدير.

- سنفشل.. وسيتم استدراجنا إلى الهاوية.. عاطف هذه هى

الحقيقة وأنت تنسحب..

- أنا لا يمكن لى أن أحارب الحكومة فى هذا الضياع السحيق ولا يمكن لى أن أنضم إليها لأن الحزب عارض ذلك بكل قوة واتهمونى أننى (العار).. لابد من أن أكون منظراً وأن أنسحب إلى التوازن.. لا إلى المعارضة ولا إلى الحكومة إلى الشعب..

- أنت تنسحب.. ولسوف يلقبونك (بعار العار)..

- أعلم.. سيعلنون أننى هزمت وأننى أنسحب لأن المبادرة فشلت.. ضياع.. اننى أقول ضياع وأنا فى أوج قمتى وقوتى وفى أوج إيمانى بالله..

- أنت ضعيف.. للاسف أقولها لك.. إيمانك لم يدع لك الفرصة لتتقوى بذاتك..

- الإيمان هو طريق القوة الأساسى..

- أنا لا أؤمن بالله..

- كنت أعلم أن ورائك كارثة يا دولت..

- أنا لا أؤمن بالله.. الله خلقنا أحراراً..

- وخيرنا بين الكفر والإيمان.. علمت ذلك عنك ولكنى لم أصدق..

- أنا فى عرف المجتمع فاجرة..

- أنت رجيمة..

- ولكنك لا تخفى إعجابك بى..

- أنا فعلاً معجب لهذه الثورية الرهيبة.. معك حق فى كثير مما تقوليه ولكن الواقع الذى تدعوينا إليه مظلم..

- أنتم تسمون الوحدة العربية حنكة سياسية ولكنها لم تقدم ولم تؤخر وأنها فشلت فى كل القضايا.. ولو كان السادات اعتمد على العرب فى حرب أكتوبر ما كان حارب وما كان انتصر..

- انتصرنا بالإيمان يا دولت..

- انتصرنا بالعلم.. الله أكبر كانت شعار فقط والملائكة لم تنزل إلى الأرض ولم تحارب معنا.. الملائكة هناك فى سجين يعذبون العصاة.. ويستعدون لى فى جهنم من الآن..

- أنت رهيبة فى ثوريتك ولكن الثورية شيء والكفر شيء آخر.. أنت تسخرين من الملأ الأعلى..

- إبليس عظيم ومتمرد.. وأنا أعشق التمرد..

- أنت رجيمة يا دولت ومصيرك مؤلم..

- ولكنى أرى توبتى يا عاطف..

- أنا لم أقل لزوجتى.. اعتزالى..

- وأنا أدركت ذلك..

- دولت..(؟!!).. أيكون الحب.. أنا رجل فى الخمسين من عمرى.. مهزوم.. ولا أملك ما أعطيه لك..

- اعتزل لتعيش معى..

- أنت رجيمة..

- عاطف.. أنا أكبر رجيمة فى الدنيا.. أنا لا أحب الله.. ولا أؤمن به ولا أريد أن أؤمن به.. أنا أرفض الإيمان.. الحرية فوق كل شيء.. حياتى فوق كل شيء.. والحب عندى كل شيء..

- ماذا بقى لك تحبين به..

- قلبى.. لحياتى كله..

- أنت فاجرة..

- أنا فاجرة.. أنا من علّمت الرجال كيف يكون الجنس.. صدقّ عنى يا عاطف كل ما تسمعه.. لانها حياتى أنا.. أعيشها كما أريد.. عشت كل سنوات عمرى بين أحضان الرجال.. من مهد إلى مهد..

ولكنى أرانى مع آخر مهد.. معك.. لاتنكر..

- أنت ساحرة..

- أنا لا أريد منك إلا ما ترتضيه لى.. أعطنى قلبك ولن تندم..

- الحب(؟!!).

- الحب..

- ما أقسى الحياة معك.. لا أعرف كيف أعجبت بك.. الأمر ليس الآن.. أنت حلم الشباب الهزيم يا دولت..

- دولت الرهيبة يا عاطف سوف تتخذ أشد القرارات فى حياتها.. سوف تتوب.. سوف تتوب عن كل الرجال إلا أنت.. فلتعتزل ولتجئ إليّ.. نحيا الأيام التى لن تعود..

- ماذا تقصدين؟.

- أنت.. ألا تحبنى..؟

- لا تقفزى فوق الحواجز..

- هذه هى الحقيقة.. أرى فى عينيك الدموع.. دع حدس الانثى يتحدث، أنت تحبنى منذ زمن طويل.. أنت تعيس فى حياتك الزوجية.. أنت على الأقل قد بدأت تكرمنى بحبك لى..

- أنا لا أعرف كيف أضعف أمامك (؟!!).

- لا تسميه ضعفاً.

- ماذا أسميه؟

- سميه الحياة..

- وأنا الحياة.. معى ستنسى زوجتك الحمقاء.. معى ستنى كل النساء..

- أنت كل النساء.. ولكنك تشعرينى أننى مهزوم.

- أنت منتصر وعبقرى ولك وجهة نظرك ولكنك مهزوم أمام الصهيونية..

- هذه حقيقة.. أنا مهزوم أمام الضياع الذى فيه أيضاً الصهيونية..

- أنا لا أقصد أنك مهزوم من قبل الصهيونية.. أقصد أن الصهيونية قد أضاعت كل شيء.. اليهود فى محنة ولكنهم مضطرون إلى الحروب وعدم تقبل السلام لان اللعبة أفلتت منهم وهم فى النهاية قبيلة من بضعة ملايين نسمة تسحقهم رياح الخماسين.. صدقوا أنفسهم عندما حكمهم روتشيلد فساس بهم العالم.. هم الآن فى حلم هل يمكن أن تكون إسرائيل قد تحققت (؟!!) هم الآن فى لا شعور قوى ولن يخرجها منه الا بالزوال لان إسرائيل وهم كبير كيف يستطيع بضعة ملايين أن يعيشوا فى قلب العالم كله.. والعالم كله يرفضهم ولا يريدهم..

- امتلكوا بالدولار كل شيء..

- بالشيكل لا بالدولار.. كل شيء فى العالم يصطبغ بالصهيونية.. بنجمة داود، لان الحلم تحقق ولكنه تحقق فى المكان الوحيد الذى لا يصلح لدولتين.. الحلم تحقق فى الزمن الخطأ.. مع زوال الدنيا فتحولت إسرائيل إلى علامة من علامات الساعة.. لان اليهود لا يمكن ان يكون لهم الدولة بعد ثلاثة آلاف عام من الكراهية بينهم وبين العالم.. هم من حاولوا صلب المسيح ولكنهم الآن أبرياء وروما هى من تحملت دمه..(؟!!) هم الآن يصلبون العالم المسيحى.. وهم الذين تآمروا على محمد فى غزوة الأحزاب والآن يصلبون العالم الإسلامى كله، والعالم الإسلامى الآن يبرئهم من كل ما سبق ويعلن معهم سلام سياسى.. اليهود حققوا الدولة فى آخر الزمان حين وحيث لا زمان.. وامتلكوا الذهب والمال ليذلوا العالم كله.. وكل هذا مسامير فى صليب إسرائيل التى ستحترق ستحترق.. ولكن مع كل ذلك يستحقون التحية لانهم وهم عدة ملايين استطاعوا أن يقيموا امبراطورية نفوذها من تخوم الصين الى غرب الولايات من وجهة نظرى.. العرب غير منصفون.. كان لابد ان يهاجموا إسرائيل بالسلام وهذه هى قوة السادات وكان لابد

أن يواجهوا إسرائيل بالقوة الحقيقية بسلاح المعرفة.. أنا ألد أعداء إسرائيل لانهم أهل كتاب.. لا تنسى.. ولكنى فى النهاية أرفض إسرائيل لانها تهددنى ولانها لم تعرف أصول اللعبة فخرجت عن حجمها عن دويلة فى الشرق الأوسط حتى لو كانت مدججة بأسلحة الدمار الشامل الى دولة كبرى بعد مسخرة عام ١٩٦٧م، إلى امبراطورية حدودها الدولار فسلبت دور الولايات المتحدة فى معركة مصيرية بينها وبين أمريكا. اللعبة أكبر من إسرائيل ومن الصهيونية لهذا فأنا أرفضها.. إسرائيل ما هى إلا مرحلة ولن يبقى فى النهاية إلا الحب الذى بدأ بيننا (!!!!).

- كل شيء معك يصير إلى الحب يا دولت..

- كل شيء معى يصير إلى الحب يا عاطف..

- ولكنك تقفزين على الحواجز..

- أنا أريد أن أصنع زمنى.. حياتى.. أريد أن اختصر معك الزمن حتى لا نضيع شهوراً بين كلمتى حب.

- ماذا تريدين؟

- ماذا تريد أنت؟

- أنا لم أعد أعرف شيئاً.. معك تضيع كل الحقائق.. جئت إليك الليلةمن أجل دعوة عشاء وحوار دافئ فإذا بك تجوبين العالم كله معى.. أنا سأعتزل يا دولت.. بعد نصف قرن من الحياة سأتحول إلى مُنظّر.. وبعد ثلاثين عاماً كبر ابنى.. الشعب.. وبعد ربع قرن من زواج فشلت فيه أجد نفسى على أعتاب الحب معك.. اعترف بين يديك أنك رجيمة.. ولكنك زلزلتيننى عندما قلت أنك ستتوبين من أجلى.. ولكن هذا الحب الوليد بيننا هل سينسجم بين كيانين منهكين..؟

- الحب الذى بيننا سيدوم يا عاطف.

- أنت تقررين شيئاً رهيباً.. حياة أبدية.. حباً كبيراً.. امتداد الحياة نفسها..

- نعم.. أقرر الحياة وامتداد الحياة..

- كيف؟.

- سأتوب من أجلك.. سأكون لرجل واحد فقط فى السر.. أنا أعلم أن هذا يؤلمك.. ولكن هذه هى الحقيقة..

- الحب ينادينا يا دولت.. يا ساحرة.. يا (الخيال)..

- الحب ينادينا..

وكان بينهما قبلة طويلة..

- معى ستنسى النساء..

- نسيت كل النساء..

- وزوجتك؟

- باردة.. انسانة لا تطاق.. أنا أعيش لابنتى.. (مي) فى السنة النهائية لمعهد التمثيل..

- ستكون بطلة مثل ابيها.

- ستكون بطلة مثلك.

- وأنت ماذا ستكون؟..

- حبيبك.

- معى ستعيش كل الدنيا.. كل الحياة..

- أشعر أننى على أعتاب حياة جديدة ولكنى لا أعرف كيف سأتوب من أجلك يا عاطف.. ولكن لابد أن يكون ثمة مقابل عندما توافق.. أن تتزوجنى عرفياً.. أنا أعلم أن مكانتك السياسية متأثرة بسلوكى كعاهرة سابقة أو حالية وأنا التى اعترفت لك.. لهذا يجب أن تظل علاقتنا سارية وسرية.. هذا هو المنطق ومعى كل شيء بالعقل

وكل شيء هادئ وطبيعى..

- أعتقد أن هذا هو كل شيء..

- ولكن شيئا هاما قد بقى..

- ما هو؟

- الارتواء..

- أنت رجيمة يا دولت..

- لا تقل ذلك عند الارتواء والحديث عن الارتواء.. أنت لم تدخل عالم النساء بعد..

- أنا كهل..

- أنت متكهل.. أنت تزوجت دون حب وزوجتك لم تعطك الحب.. الآن ستكتمل الرجولة يا عاطف الآن سوف ترتوى من الخيال..

- أعيدى إليّ الحياة..

- أنت فعلاً فى حاجة إلى ذلك.. أنت تشعر أنك هَرِم لان قلبك لا يدق.. لأنك لا تحب.. لا تعيش حياة سعيدة.. الروتين أكل حياتك.. السياسة حطمتك.. هناك أشياء تجبر السياسى على ممارستها، هو الموت.. السياسى ميت.. لا يعيش الحياة بكل جنونها.. الحياة تحتاج

منا إلى أن نكون مجانين فى بعض الأحيان وأنا الآن أدعوك إلى جنون الحياة.. الحب.. أدعوك لأن تتجرد من كل شيء إلا وصفك عاشق.. كل شيء يجب أن ينتهى الآن.. الوظيفة.. الحزب.. السياسة.. الاعتزال.. العمر.. الزوجة.. حتى مَيّ.. بل حتى أنت يجب أن تنتهى لتبدأ من جديد.. كل شيء يجب أن يتغير.. العطر.. الملابس.. حتى قصة الشعر.. الحياة كلها يجب أن تتوقف من أجل أن نعيد اكتشافها والوصول فيها إلى ألذ متعة ممكنة.. لم تتركه ليرد بل أمطرته بعشرات القبل.. كان كل شيء معد منذ سنوات من أجل اللقاء.. من الصعب أن يحدث هذا التحول الدرامى دون أن يكون هناك جذوراً من إعجاب أو حب بين الاثنين.. الاثنان اعلاميان.. سياسيان فى بلد واحد.. هو أعجب بها منذ شبابه وهى أخذت بصعوده المستثمر فى عالم المعارضة.. كلاهما فارس فى مجاله وقد كان لابد أن يحدث ذلك طالما أنهما أُخذا ببعضهما البعض عاطف ترك نفسه لحلم العمر وحب المستقبل فماذا سيخسر (؟!!).. حزب أهانه حتى طالبوا بعد ثلاثين عاماً بطرده من الحزب.. معارضة آسنة.. حكومة لا تلوى على شيء وصفها (بالفاشلة).. سياسة عالمية ضائعة.. قيادة عالمية

وهمية.. السياسة فقدت معناها.. ونجوم السياسة أصبحوا فى موقف لا يحسدون عليه فقد فشل العالم فى توفير القمح إلى العالم وباتت مشاكل الطاقة والبيئة من أهم المشاكل.. الإنسان فقد أهميته فى الحياة وصار النفط هو القيصر فى عالم قصير بلا قيصر.. مصر انهزمت فى نافارين والخديو إسماعيل لم يستطع أن يفهم اللعبة السياسية فأغرق مصر فى الديون.. ثورة عام ١٩٥٢م أتت بالانسكار، والانتصار الوحيد الذى عاشته مصر والعالم العربى الوهمى فى عام ١٩٧٣م لم يتم الاستفادة منه والدراسات العسكرية الأكاديمية تعتبره مفخرة المعجزات العسكرية والضربات المخابراتية. العالم فوضى والصهيونية كما قالت دولت تطاولت على الجميع على نفسها، وعلى ولية نعمتها فحصّلت فى كل الصدور كل الكراهية ولكن بعد أن أدخلت العالم فى تيه آل بنى يهود، وهم معهم، فصارت الحروب للحروب.. السياسى المخضرم تعب من كثرة الضربات المحلية والدولية والعالمية، وكل ذلك (فشنك) لان قيادة العالم غير موجودة والإنسان فى كل مكان قد أصابه السقم.. الإنسان مريض فى سن الطفولة.. الإنسان عاجز وهو فى سن الشباب ومقيد فى بلاد الحريات.. وضائع فى كل العالم

الثالث والعالم كله أصبح عالماً ثالثاً.. الإنسان فى العالم الأول لا يعرف السياسة والإنسان فى العالم الأخير لا يعرف المال.. والجات من مصلحة الشركات العالمية الكبرى التى تدين للصهيونية بالولاء، والصهيونية لا تزال تعيش فى عالم الجيتو، فى عالم يرفض أن يكون التاريخ سور القاهرة القديم فى زمن المماليك.. عاطف ذهب إلى دولت هائماً لها وعليها.. مهزوم ككل سياسيّ العالم. ذهب وفى قرار الاعتزال بعد أن اكتسحت الفوضى كل مكان وأصبحت الحروب للحروب والإرهاب للإرهاب والشرق الأوسط لا هو شرق ولا هو أوسط، والعالم كله أصبح العالم الثالث فما قيمة الكتابة لعالم أُمِيّ يعلم الحقيقة وينكرها.. ماذا بقى من الإنسان وثوراته فى كل مكان.. نابليون تحت قبره يئن لانه سحق الجمعية العمومية فحملته الثورة إلى الامبراطورية(؟!!) وجمال عبدالناصر هُزم أكبر هزيمة فى العالم فخرجت الشعوب بألا يترك الحكم(؟!!) وإسرائيل أصغر دولة فى العالم تمسك بدفة الحكم العالمى لتقوده إلى الجيتو والتاريخ المحاصر بحائط المبكى وصلب المسيح الذى بَرِءوا منه بفعل صك غفران من البابا. العالم الإسلامى هناك فى عالم الحروب من جروزنى إلى طنجة فى شظف رهيب، حتى

النمور التى كانت نموراً ترنحت والقطب الصينى مشلول.. مازال أمامه جيل كامل من أجل أن يصدع بالثقل السياسى فى العالم.. الشيء الوحيد الذى كان يفخر به عاطف فى وسط هذا السواد الرهيب الذى اسماه (بالمشئمة) الشيء الوحيد الذى فخر به هو نضج المواطن العربى الذى أصبح كله حزب معارضة.. عاطف شعر بذلك.. شعر بأن المعارضة المصرية والعربية قد أنضجت العالم كله وأن محمد على استمر دون هذيانه ضد الباب العالى.. نعم محمد على استمر على يد إسماعيل والسادات.. وأن الكبوات على طريقه توفيق وعبدالناصر قد حوصرت وأن الأمة المصرية الآن ومعها الأمة العربية خاصة مع زلزال عاصفة الصحراء قد أصبحت حزباً واحداً أسماه (حزب الوحدة).. عاطف شعر بنهاية رسالته وهى تثوير المواطن المصرى والعربى ضد الحاكم وضد الصهيونية لانه لا بديل عن ذلك آن الأوان للأستاذ أن يستريح.. هذا هو الوقت الذى يعتزل فيه حتى لا يضغط بثقله على الحكومة الفاشلة فى وقت الشعب كله تحول فيه إلى حزب معارض قوى لا يمكن تجاوزه.. آن للأستاذ أن يستريح فقد كبر ابنه واستطاع أن ينادى بالحريات فى الجامعة وأن يكون له ألف حساب

فى النقابات وأن يكون له حزب كبير مع العمال والوطنيين والفلاحين والفئات وأن الانتخابات أصبحت مسرحاً يونانياً كبيراً يؤدى فيه الأبطال كل الأدوار النموط بها أداءوها هكذا تم تثوير العالم الثالث ليقف أمام الهجمة الصهيونية بكل صرامة.. قد آن الأوان للأستاذ أن يتحول إلى مرجعية هادئة من أجل التثقيف للحفاظ على البقية الباقية من المقدرات للأمة العربية والمصرية والإسلامية.. الأستاذ لم يأخذ بكلام الأستاذة ومازال على نهجه إنه لابد من الوحدة العربية من أجل إرساء قواعد هامة للتكتيك السياسى من أجل أن يقف العالم الثالث كطود شامخ بقدر قدراته أمام هجمات العالم الأول التى تريد تحويل الأول إلى سوق.. الأستاذ نجح وابنه كبر ويفع ولابد أن يعيش حياته.. من أجل ذلك كان لابد أن يحب أو أن يعود إلى حبه القديم دولت التى أعجب بجمالها وهو لا يزال فى ريعان شبابه.. التقت دولت فى داخله بقرار الاعتزال وقرار الزواج فترك نفسه لنفسه.. لحبه القديم ذاك الحب الذى كان إعجاباً فصار فى خلال أيام إلى حب عارم.. الأستاذ أصبح يحب، الأستاذ أصبح بقدرته هارباً من زوجته وأن يقول لها رأيه بصراحة بعد ربع قرن من الحياة لأنها لا تصلح أن

تكون امرأة وأنه لابد أنى يعيش حياته. أما هى فقد استولت عليها فكرة خطيرة من أفكار الإعلام وهى انتهاز الفرصة.. وجدت فى عينيه الزيغ الذى تراه فى كل مرة مع كل فريسة.. راهنت على الحب.. راهنت على المصراحة.. كانت تتابع عيناه فى دقة وشغف وكانت كل مرحلة تسلمها إلى الأخرى.. لم تخش أن تقول له أنها عاصية وأنها فاجرة (كما يسميها المجتمع المتدين) ودعته إلى فكرة أراحته أن يكونا لبعضهما البعض فى السر وعندما تمكنت منه دعته إلى الفراش.. كان عقلها يعمل بسرعة الضوء وعلى عجل ألقت كل أحجارها من سياسة إلى حب فى نهره الآس فتحرك وفاضتا عيناه بالمحبة واندفع معها ينهل من نهر الارتواء الذى لا ينتهى.. أدركت فيه أنه من المحافظين جنسيا لهذا فقد تحكمت فى نفسها وأزاحت جنون رغبتها وأحالت بين ممارستها للجنس معه وبين الشذوذ فخرج اللقاء طفوليا بريئاً.. أصابته فى مقتل فقد كان الأستاذ يريد الارتواء وهكذا ارتوى الحب وما كان عليها الا أن تقطر له من الحب والجماع حتى الارتواء العام.. اقتنعا أخيراً بأن تستمر العلاقة هكذا سراً دون أن يعلم أحد حتى يتم تدريج العلاقة لانه لابد ان يكون هناك توبة لانه لا يقبل

بدور العشيق ولا يمكن ان يقبل بعد اليوم ان تكون لرجل آخر معه. اقتنعا انه لابد ان يكون اطاراً سريعاً للعلاقة فى صورة مرضية مؤقتاً هى (الزواج العرفي)..

* * *

كان الاتصال السابق رهيب الوقع فى حياة عاطف إذ أسلمه إلى نقطة الغليان لان ماضيها كان يقف حاجزاً بينه وبين رضاه.. كان يتخيل ان كل أعداءه من السياسيين قد ضاجعوها وأن رجال الأعمال المتربحين قد نالوا منها خاصة سميح ولكنه كان يعاود سحق كل هذه الأفكار فى مقابل فكرة الحب التى استولت عليه وقد نقل إليها هذا الشعور.. شعور الاخلاص.. كان صادقاً نقياً فى حبه أشد ما يكون الحب والاخلاص.. أما هى فقد كانت (اللعوب) أدركت منه كل شيء ولكن علاقاتها كانت هى هى خاصة مع الطبيب الشاب كل ما فعلته هو أنها قالت من وقع عملها فى الدعارة المنظمة بعض الشيء.. ولكن الذى كانت تخشاه قد حدث.. كانت تخشى من عاطف أن يستولى عليها وأن يحل محل الشهيد فى أعماقها وأن هذا بالتحديد ما حدث.. لم يمر شهر حتى حدث ما لم يكن فى الحسبان.. كان عمق الحب

تجاه عاطف يزيد ليملأ كل أعماقها حتى الوجدان فكتبت ثلاثة قصائد كبريات.. لأول مرة يجئ فارس له وجهة نظر كونية يزلزل حياتها.. الفارس الذى كانت تنتظره قد جاء.. جاء من يزلزل منزلة (الشهيد) الذى مات ليتحول رافد الحياة فى حياتها إلى نهر ويتباعد عنها شعورها الذى جاء مع القضية بضرورة الانتحار.. كان المعامل الذى بثه عاطف فى نفسها هو الاخلاص كان الفارس الحالى كالفارس السابق لا يُقاوم.. نفس الروح مع اختلاف الشخصية.. القرار.. النظرة الكونية.. السياسية.. الحرب.. التعبيرات.. والاخلاص.. حدث ما لم تتوقعه دولت، أحبته حبا المثيل لحب الشهيد وساعتها اختارت هى الآ تود أن تودع كل الحياة السابقة.. تريد أن تودع سيرة الشهيد ومعه ابن أخته الطبيب، تريد أن تودع كل زملاء الدعارة وزبائنها، بل الدعارة كلها، تريد أن تعيش مخلصة بالكامل لعاطف.. كان هذا هو التغير الذى تم فى حياتها.. اعترفت (أنها أحبته بجنون) ولأول مرة تعتذر بالفعل عن مواعيد الدعارة المنظمة وتعتذر (لمجدي) الطبيب وتضع صورة مجدى الشهيد فى ركن قصى فى مكتبتها لا فى مكتبها.. كل شيء قد تغير.. هدأت نفسها.. صرخت من هول المفاجأة

(وهل أحب إلى هذه الدرجة من الجنون؟!!).. كان الحين حين تصوير فيلمها الثانى، مزيج من السياسة والاغراء عن بعض أحداث الثورة.. ولكنها كانت فى عالم آخر.. عالم الحب.. وبعد أسبوع من التصوير أخذتها العزلة ليوم كامل وفى شقتها وفى دورها الثامن ولأول مرة أخذت تتصالح جزءياً مع الله.. قررت أنها ستعيش من أجل عاطف من أجل الاخلاص ومن أجل الطهارة.. وأن الله لم يظلم العبيد بأن خلقهم وربما يكون إبليس مخطئاً.. لأول مرة أخذت تنظر إلى السماء بعين الرضا وتساءلت (لماذا انحرفت أساساً؟) إلى هذا الحد وقف التساؤل فقد شنت على نفسها حملة ضارية من اللوم والتأنيب لأكل الماضى الذى كان لكل جزءً من حريتها وانها فخورة بكل الماضى، ولكن الشيء الذى تجدد فيها منذ أيام الطفولة شعورها بأن الله لم يظلم الخلق بأن خلقهم وأنه كما تقول (بسبحانه وتعالي) قد خلقهم من أجل التنعيم لا من أجل التعذيب.. ولأول مرة تنازلت عن التنكيل بالطبيب الشاب لانها كانت قد خططت فى حالة انفرادها عاطفيا بعاطف بأنها سوف تدك لبنى وكان حدس مجدى صحيحا عندما أدرك أنها تعتذر عنه كليةً بعد أن أعتذرت عن لقائه أربعة مرات

وقال (راحت).. أذن هو عاطف.. فقد مات أخيراً مجدى فى داخلى.. وانزوى من هو فى سن ابنى وبقى الطود الشامخ عاطف.. كانت الامسيات بينهما تتلاقى وتتعدد وفى كل مرة يكون الارتواء أدفأ.. وأجمل.. كان الحب.. وكان الاعتراف لها بأن الحياة بينه وبين زوجته منتهية منذ سنوات وأن مى ابنته تشعر بذلك وتتوقعه وأنه قال لابنته مرة (لولاك لانهدم البيت) عندما تحدث عن مى صممت أن تقابلها واتفقا أن يرسل عاطف ابنته إليها من أجل دور متميز لها فى فيلمها (الثالث)، ووافق، لانه كان يود أن يصارح ابنته بحقيقة الموقف لان ابنته هى كل ما له فى هذه الدنيا.. فى هذه الأحيان كانت روحها المعنوية عالية وقد امتنعت عن الدعارة لثلاثة شهور والمسافة قد تباعدت بينها وبين مجدى الطبيب إلى شهور ولعل ذلك لانها لا تريد التسليم للبنى بعد ولكن التردد بين التنكيل بالطبيب وعدم التنكيل كان هو الدافع لان تستمر العلاقة الحمراء بين دولت والطبيب متجاوزة بهذا وعودها لعاطف بألا يمسها أحد. لعل هذا الجفاء هو الذى رسخ فى قلب مجدى ان العلاقة - كما توقع - ستنزوى قريباً وقد ترك لها الفرصة لذلك من أجل أن يتحرر منها هو

الآخر لأنها كان تُطبق عليه من كل جانب وتحاصره وتهدده بالويل والثبور ان حاول أن يلمس سواها.. أو أن يحب سواها.. إذن فكل شيء على ما يرام ولسوف تنتهى العلاقة فى أقصاها بشهر..

* * *

كانت مى جميلة الجميلات وأهم ما يميزها عيناها السوداوين الرقيقتين.. كانت تصعد الدرج إلى شقة الأستاذة دولت فى كثير من الخفة من أجل فرصة العمر.. كانت دولت تعيد صياغتها فى المجتمع من جديد ورغم معارضة أم مى، كريمة، لذهابها إلى عاهرة كما أسميتها إلا أن عاطف أصر وأقنع ابنته أنها فرصة العمر وأنها سوف تمثل دوراً متميزاً لها فى فيلم دولت الثالث.. استقبلتها أروع استقبال.. ولأول وهلة أدركت فيها روح أبيها وتنبأت لها بمستقبل عظيم.. أما مى فقد أُخذت بدولت فقد كانت شخصيتها بارعة فى السيطرة وفى حصد الاعجاب.

سلمت مى بأن دولت هى الخيال فهى تعرف فى كل شيء وتفهم فى كل شيء بالذات السياسة ولها فيها الكثير من الآراء الشجاعة السديدة.. الابنة الحصيفة أدركت للوهلة الأولى أنها (عاهرة) كما

يقولون عنها ومن طرف خفى ومن كثرة أسئلة دولت الشخصية عن عاطف أدركت مى أن دولت تريد أن توقع الأب عاطف فى حبائلها فتنبهت لذلك خاصة أنها علمت من أبيها أن هناك حواراً بينه وبين دولت.. ثقة مى الكبير فى عاطف حالت دون الشك فى موقف أبيها، بل إن حدسها أوحى لها بأنه ربما سميح رجل الأعمال هو الذى يريد أن يصطاد أباها عن طريق العاهرة دولت.. لهذا فقد كان موقف الابنة فى اتزان عجيب، أدركت أن عاطف يفهم اللعبة جيداً ولن يسمح لصورته أن تهتز عن طريق عاهرة وصمها المجتمع بالعهر يوماً، وقد أفلتت بأعجوبة ولكن المرة القادمة لن تفلت. قررت أن يكون هذا هو العمل الذى تستخدم فيه دولت أشد الاستخدام لتنتقل بعد هذا الدور المميز إلى أدوار أخرى تلقائية.. بالفعل مثلت مى هذا الدور باتقان واستطاعت من خلال أبيها أن تقف على جوانب الشخصية. أمرها أبوها بعدد من المراجع عن الحقبة التاريخية التى يدور الفيلم عنها كان يتابع معها كل صغيرة وكبيرة حتى أثنى النقاد عليها ثناءً كبيراً.. كان كل شيء يسير فى هدوء والابنة تنطلق من هذا الدور إلى أدوار أخرى أخذت تنتقيها بعناية

ولعل استقرارها فى العمل السينمائى مع فيلمها الثانى الذى قادته أيضاً دولت، وتخرجها من المعهد العالى للسينما قد جعلها تفكر مليا فى ذلك الشيء المقدس الا وهو الحب.. كانت حياتها الأسرية فى منتهى الدقة.. الأم كما يجب أن تكون الأم.. عقل بلا روح أو قلب ولكنها كانت سعيدة بنجاح ابنتها فى مضمار الفن..

والوسط الفنى استقبلها استقبالاً حسناً.. وقبل كل هؤلاء عاطف.. أبوها.. يغدق عليها من حنانه.. ودولت بالنسبة إليها طريق له نهاية وهذا ما نصحه به زملائها لان ضربتها والقبر كما يقولون، وانها لن تتورع عن فعل أى شيء إن غضبت عليها لهذا يجب أن يكون التعامل معها من باب التسليم بأنها نجمة كبيرة لها السمع والطاعة.. كان كل شيء على ما يرام إلا ذلك التوتر الخفى لدى كل فتاة ومفاده (من أحب؟) (بمن سأرتبط؟) حتى جاء ذلك اليوم.. كانت علاقتها بدولت كعلاقة التلميذة بالأستاذ.. فى ذلك اليوم عرض عليها سيناريو فرأت أنه لابد أن يعرض على أستاذتها، الأستاذة دولت، بالفعل ما هى إلا ساعة إلا ودقت جرس الباب لدى شقتها فى الدور الثامن.. ولأول مرة وجدت عندها ضيفاً هو مجدى..

فى البداية ارتبكت دولت فقد كانت تريد إخفاء هذه العلاقة عن كل العيون.. قدمته إليها بأنه ابن صديقتها ولكن مجدى كان قد عرفهاوقال لها (أنت مي).. لم يدم اللقاء أكثر من دقيقة واحدة تبادلا فيها التحية وقد علم فيها مجدى أن مى ابنة المعارض الكبير عاطف عاطف عاطف.. مرة أخرى سقط الحجر فى البحيرة المتأججة بنيران البحث عن شريك الحياة.. مى ذهبت بعيداً عن المناقشة بينها وبين دولت فقد أخذت بهذا الروح الرجولية النادرة وبهاتين العينين السوداوين وبلمسة يد قالها لها فيها (أريدك).. كانت تود أن تعطيه رقم المسرة ولكن الظروف حالت دون ذلك.. أما هو فقد فاض قلبه شغفاً بها.. كان فى أوج سعادته، فقد تخرج من كلية الطب وهو الآن قيد التكليف وما هى إلا شهور ولسوف ينهى هذا التكليف، وعلاقته الزائفة (كما اسماها) مع دولت تتروى فقد كان هذا هو اللقاء بعد خمسة اعتذارات ولم يكن بينهما ارتواء أحمر لأن مى قد جاءت لتوقف البرود عند حده ما هى إلا دقيقة إلا وقد ذهب.. وأخيراً وجد من يريدها شريكة لحياته.. هذه الفتاة البسيطة.. الوجه الناصع.. الشعر الناعم الأسود الطويل وقد اتشح ببعض الجدائل الجميلة

لتتحول لى تاج جميل يرصع جبهة شماء مثل جبهته.. العينان السوداوان الصافيتان كصفحة النيل.. وكل ذلك فى سيمفونية جميلة لجسد متوازن وصوت راقٍ عذب.. هى مى التى رآها فى السينما فشعر أنه سيكون بينها وبينه شأناً آخر.. وفى لمح البصر حسب ثروته الآن، خمسة آلاف دولار وأمامه على أقصى تقدير نصف عام. هذا وقت مناسب للحب.. أخيراً وجد شريكة حياته.. أخيراً وجد الحب.. أخيراً عرف كيف يدق القلب.. كان يشعر أن ثمة شيئاً مختلفاً فى هذا الكون.. الطريق ليست كالطريق.. الأشجار ليست كما هى.. الدنيا ليست كالدنيا.. كل شيء يطير.. كل شيء يضحك ويبتسم.. كل شيء عاد مقدساً بعد طول عبوث وما هى إلا ساعة واحدة حتى التقى برقم المسرة عن طريق الدليل ولم يكلفه هذا الا سؤال فى الحزب عن رقم تليفون الأستاذ عاطف عاطف عاطف وقد كان الأستاذ عاطف هو الآمر بألا تحجب أرقام مسرته عن الجماهير وقد كان.. أما هى.. فقد اكتسحها الاضطراب ولكن بقدراتها التمثيلية استطاعت أن تلملم أنحاء نفسها المضطربة.. لأول وهلة لامت نفسها على موضوع أرقام المسرة التى حجبتها عنه.. كان هناك شيئاً ما يناديها بأنه الحب

وأنها قد علمت منها أنه ابن صديقة لها أى دولت، وأنها لن تعجز أن تصارح دولت بمشاعرها إن رأت أنها لن تعوض هذه الروح الرجولية الرهيبة التى لم تلتق بمثيلتها من قبل.. كانت ليلتها الأولى سهر كامل فقد أخذت بالعينين والجبهة الشماء والكبرياء والطب والعذوبة والحنان.. أُخذت بلمعة العين كأنها تحمل شوقاً دفيناً انبعث تلقائياً كأنها تنتظر اللقيان.. أُخذت بلمسة اليد التى قالت الكثير.. أخذت بهالات الاحترام التى تسيدت الموقف.. كان هناك ما هو أبعد من كل ذلك وهو جوهر الحب كان شعورها بالأمان معه، شعورها بأنها لن تكون إلا لهذا الرجل.. كان شعورها بأن جسدها لم يخلق إلا من أجل أحضان هذا الفرعون الشاب الذى يدق الأرض بقدميه فإذا بها زلالاً أسفله.. كان بها جوهر الحب، السكينة والطمأنينة والحنان.. وفى الثالثة صباحاً من اليوم التالى حدث الشيء الموعود.. اتصل بها وقد كان على يقين لا يخيب..وكان نادراً ما يخيب ظنه.. أنها سوف ترد عليه وأنها تنتظره كما ينتظرها.. فى البداية كانت مكالمة جس النبض ولكن للوهلة الأولى عرفت أنه هو فطارت إلى السماء سعادة.. حدثها كمعجب، وتمادت، وما هى إلا ربع الساعة حتى تعارفا مرة

أخرى فانطلقا فى سماء السعادة.. مر الوقت سريعاً.. ساعتان.. ونهاية متوقعة، قبلة حانية منه ولم لا وقد أصبح حصيفا فى التعامل مع النساء(؟!!).. فى اليوم التالى كان أول لقاء.. دارا كثيراً ولكن العيون قالت كل شيء وبادر هو وقال كل ما يمكن ان يقوله العاشق من أول نظرة. برر ذلك بأن هذه ليست أول نظرة بل إنها النظرة المليون فهو يتابعها على الشاشة الصغيرة وفى السينما ولم يصدق أنه أمام معبودته.. قلبها الصغير كان سعيداً ولكنها لم ترد عليه وإنما قالت (إن الحب لا يأتى فى لحظة واحدة ولكنها تعترف له أن بينهما اعجاب كبير وأنه هو هو الإعجاب الذى يتطور إلى الحب).. وافق على الفور على هذا التحليل وأخذ منها الوعد لتكرار اللقاءات حتى يحدث الحب.. هتف.. الحب مقدس يا مى يا أعز من فى الوجود إليّ.. الحب هذا النداء الذى لا يقاوم.. الحب الحقيقى نادر ولا يجىء كثيراً فى هذه الدنيا.. ربما مرة واحدة فقط فلا تنهييها.

أخذتها فى البداية كلمة الحب مقدس فهى كلمة غير متداولة ولكن روحها تسرى بين الشباب ورددت – الحب مقدس (؟!!) – كلمة جميلة وصعبة.. الحب مقدس والارتواء منه مقدس.. نستطيع أن

نمخر عباب البحار من هنا.. سأطوف بك العالم كله ولن أحرمك من شيء ولن أكون عبئاً على فنك الراقى.. سنمخر عباب البحار ونتجاوز الفضاء.. سنرى العالم ونقرأ عن كل شيء لأننا مازلنا فى طورالقراءة عن كل شيء لاننا لم نعش بعد كل شيء.. نحن فى حاجة ماسة إلى التقرب أكثر من بعضنا البعض.. نحن فى حاجة إلى أن تمتزج الأرواح والأنفس.. نحن فى حاجة إلى الارتواء.. اشتاق إليك.. خذى عنى كل هذه الحياة.. لانك تستطيعين، وهاتى عنك كل المتاعب فأنا سأتحملها.. فقط لا توقفى الحب الذى يفيض به قلبك.. انتزع يديها فى خفة وقبلهما وانتهى اللقاء الأول وكل منهما فى حرمان. لم يمضى أسبوع حتى كان اللقاء الجنسى الأول بينهما.. كانت مشكلته معها كيف سيقنعها بالارتواء، لهذا قرر أن يأخذها على غرة فدعاها إلى شقة صديق له وفض بكارتها فى أول نصف ساعة. واندهش، فهذه اللوعة والسخونة لم تكن موجودة فى أم الفسق دولت. وعندما بكت مى أخذها فى أحضانه وقال لها إنه سوف يفعل كل شيء من أجل الزواج وأن عليها أن تصطبر فقط عدة شهور ولسوف يدبر المال اللازم لذلك..

* * *

كانت هذه الجلسة عاصفة بين مى ودولت كانت مى فى طريقها إلى النجومية من الدرجة الثانية وكانت دولت فى طريقها إلى الانفراد بعاطف.. كانت دولت تكثر الأسئلة عن كريمة أم مى وهذه الأسئلة هى التى خلقت التوتر بينها وبين مى لان مى كانت تعلم أن دولت عاهرة وأنها لم تستطع أن تتنازل عن هذه الصفة عنها وكانت قد بدأت الشك فى علاقة ما بينها وبين أبيها وهكذا كان لابد من الحسم..

- أنا وعاطف على انسجام تام يا مى.

- ماذا تقصدين؟

- أنت مازلت صغيرة ولن تدركى حجم المأساة التى يعيشها أبوك.. سأكون له نِعم الراعية.. أنا مضطرة لان أقول لك ذلك لأنك تشكين فى أن هناك غدر منى إلى أبيك.. وأبوك أعز إنسان لدى فى الوجود..

- أنا لم أقصد.

- أنا أعالج شكك يا مى.. ليس بينى وبين سميح أى شيء ضد أبيك.. سميح له صطوته فى مصر والعالم العربى وهو الذى أشاع عنى أننى مِلكه.. كان قد وقف معى فى موقف انكسارى فى القضية المزعومة ومنذ ذلك اليوم وهو صديق لا أكثر ولا أقل.. مى، هذه هى

الحقيقة.. أنا أعلم أنها حقيقة تمس الجانب الآخر من حياتك مع أمك ولكن أنا لا ذنب لى فى ذلك.

واستطردت أنا وأبوك على اتفاق وبيننا سعادة وأريدك أن تقفى بجانبى فى هذه المحنة بالا تشكى أننى ضد والدك الشجاع.

- أنا لا أصدق ذلك.. هل أبى يحبك؟

- أنا مضطرة إلى إفشاء السر لانقاذك من القلق.. نحن نتحاب منذ شهور..

- هذا مستحيل..

- لماذا؟

- ليس هذا حب.. هذه نزوة.. أمى لن ترضى عن ذلك.

- سيبقى ذلك سراً دفيناً بيننا..

- هذا خداع.. أبى لا يمكن أن يفعل ذلك..

- ما هو هذا الشيء الذى يجب ألا يفعله (؟!!) إنه يحب.. لقد عاش ربع قرن فى حياة كلها إرهاب مع أمك وعليك أن تعترفين بذلك.

- الأستاذة دولت أرجوك لا تهدمين كيان الأسرة، ابتعدى عن أبى والآن..

- لن ينهدم كيان الأسرة لأن زواجنا لن يعلن.. سيكون زواجاً عرفياً فى السر وستكونين من الشهود عليه..

- هذا مستحيل.. أبى معارض وأعداءه سوف يعرفون يوماً وساعتها سيطردوه من الحزب..

- أى حزب يا مى؟ الحزب الذى تنكر له بعد أن أعطاه عمره؟ أبوك فى أمس الحاجة إليّ.. لان حياته الخاصة جحيم لا يطاق ولأن حياته العامة أشد جحيمية.. مى أبوك سيعتزل السياسة ليتحول إلى مرجعية سياسية وهو ينتهز الفرصة السانحة لذلك الاعلان فى خلال الشهور القادمة.

- هذا محال.. أبى يعتزل السياسة (؟!!) هل هناك سياسى محترف يعتزل بعد ثلاثين عاماً.. العالم كله ضده ولكنه الفارس الجسور ولسوف يصمد فى مواجهة الجميع..

- أبوك فارس الفرسان ولكنه معذب وعليك أن تكونى مثل أبيك فى تمام الموقف الموفق، ولسوف أكررها عليك كرامة أمك محفوظة لأن علاقتنا سرية وأنت شاهدة على براءتها..

- كل هذا سخف.. أبى لن يعتزل.. أبى لابد أن يستمر ولسوف

يصل إلى الحكومة فى يوم من الأيام لانه يستحق..

- أبوك لا يريد الحكومة أو الوزارة.. أبوك يريد الحب قبل أى شيء آخر.. احتياج كل جنس إلى الآخر شيء من الطبيعة التى خُلقنا عليها، وهو فى حاجة إلى أنثى، فى حاجة إلى القوة الدافعة فى الحياة.. إلى الحب.. فلا تكونين سيفاً مسلطاً عليه..

- هذه نزوة..

- لا.. هو الحب..

- أنت لن تناتلين من أسرتى ما حييت.. ايتها الأستاذة أنت كنت الخيال فى يوم من الأيام ولكن الحقيقة واضحة وهى أنك لا تستطيعين أن تعيشى كل عصر بنفس القوة.. القضية صحيحة والوسط كله يعلم ذلك وأنت مفروضة على العالم بقوة سميح.. أنت انتهيت ولا يمكن أن تأخذى العالم كله معك.. أنت مجرد عاهرة.. داعرة.. ولا يمكن أن تخدعى أبى أبداً..

- تجاوزت حدودك يا مى.. أنا لست عاهرة.. أنا دولت.. الأستاذة دولت.. أنا كنت أستاذة بالجامعة.. وكنت ألمع العلاّمات وأنا الآن أسير فى طريقى لكى أكون الممثلة الأولى فى مصر والشرق.. المجتمع ظلمنى..

- إياك أن تزيدين كلمة واحدة.. أنا قابلت رفيقاتك فى القضية وهن كومبارس وفتيات إعلانات فاسقات.. كلهن أكدن الحقيقة، وهى أنك مجرد عاهرة، ولكنه أكبر من عاهرة، أنت أقوى عاهرة فى الوجود.. وأنك تمارسين العهر كعقيدة من أجل ممارسة العهر نفسه ومن أجل المال الرهيب والشقق التى تمتلكينها فى نواحى القاهرة.. المجتمع كله لفظك وأدرك منك النفاق.. أنت لست الباحثة عن الحقيقة.. أنت لست الباحثة عن الحق والخير والجمال والرفاهية للعالم الثالث، وأنت لست الشاعرة ولا القاصة.. أنت تريدين إلتهام العالم.. أنت تريدين السيطرة على حركة الشعر وهذا محال لأنك لست الشاعرة الوحيدة حتى إن كان لك ستة دواوين، ولن تكونى القاصة الوحيدة بقصصك التى عاودت تملأ الصحافة.. أنت أخطر عقلية فى عالم العهر.. أنت عقل راجح رهيب كابد الليالى الطويلة من أجل أن يكون الآسر الوحيد وهذا هو المجال، كدت أن تكونين المحال فأطلقت على نفسك (الخيال).. كل شيء فيك جميل وراق وعذب.. أجمل جسد.. أخطر عقل.. أعذب شخصية.. أرق شعر.. أجزل عبارة.. أثور رأى سياسى ولكنك فى النهاية تتناسين أنك امرأة ضعيفة وأنك

استخدمت كل ذلك من أجل أن تكونين أنت فقط فى هذا العالم ومن أجل أن تكونين العاهرة الكبيرة..

- نسيت أن تقولين وأجمل وجهة فى السينما حقق أعلى الإيرادات فى ثلاثة أفلام متتالية معاً..

- أنت ظاهرة ولكنك لن تستطيعين أن تكونين العالم..

- سأكون العالم لأننى أخطر شخصية فى العالم ولسوف أعود إلى برامجى وكل نفوذى فى يوم من الأيام.. مى عذرك الوحيد أنك صغيرة وأنك ابنة عاطف..

- أنت لا تستطيعين فعل شيء دون سميح..

- أنا أستطيع أن أفعل ما أريد فى الوقت الذى أريد حتى القيامة نفسها أستطيع أن أقيمها..

- هذا تأله..

- فلتسميه كما تسميه.. لقد سئمت منك.. كل ما أود أن أقوله هو ألا تقولى لأمك حتى لا تؤذين حياة أبى..

- لا أستطيع أن أقول لأمى شيئاً لان هذا يعنى نهاية أسرتى ولكنى لن أسمح بهذه الزيجة ما حييت، لانها النهاية الموضوعية

لطود شامخ قضّى عمره كله من أجل الحرية والعدل والحب.. لا يمكن ان تكون نهاية أبى على يديك، محال.. أنت مجرد نفايات المجتمع وعاهرة ولن أسمح لك بأن تمسين أبى.. دولت كم تريدين من أجل أن تتركى أبى..؟

هوت كلمات الثائرة مى على دولت كالصاعقة ولم تدر بنفسها إلا وهوت بيدها على وجهها أى مى فى صفعة مدوية.. وانفجرت..

- أنا أستطيع أن أصنع مثل أبيك عشرات النسخ أنا دولت.. أنا الأستاذة.. وأنت مجرد تلميذة صغيرة فى مدرستى.. أنا وأبوك سنرتبط دون إرادتك ولن يهمنى فى هذه اللحظات أى أسرة زائفة مثل أسرتكم..

- محال..

قالتها وانصرفت..

كان شكها فى موضعها هتفت:

قذرة.. ستنال من أبى (محال).. (كل شيء إلا أبى.. هو قدس أقداسى.. هو ضميرى الذى ضاع مع مجدى.. هو حقيقة جسدى.. هو روحي).. كانت تعلم أين هو الآن.. لأنه يسهر فى مكتبه يومياً

حتى ما بعد منتصف الليل فى اجتماعات مستمرة.. كانت تدرك كل شيء.. كانت تدرك أنه قد تغير فى الشهور الأخيرة، وأنها أومأت كل هذا إلى امرأة فى حياته وأنها كانت توافق لأن أمها امرأة بلا قلب.. ولكن دولت.. لا.. لأنها النهاية.. انها عاهرة ولسوف تصلب عاطف فى كل المحافل السياسية.. إنها عاهرة.. شمطاء.. قذرة ولابد ان تقف عند حدها..

دخلت إلى أبيها فها له أن رأى ابنته التى يعلمها جيداً فى وضع الانهيار.. كانت صامتة.. أطفأ سيجارته واحتواها على الفور – كعادته – بين ذراعيه.. أمسك بكتفيها..

- ما بك(؟!!).. حب(؟!!).. لا.. أنت صغيرة على هذا الحب.. لا.. ليس حب.. بل أنا.. أشعر بذلك.. أنت فى بعض الأحيان تتقمصين دور أمى..

- حب.. حبك.. لدولت..

هوت الكلمة كالصاعقة على رأسه.. تركها ليستقر على كرسيه فى هدوء ويشعل سيجارة.. كان عقله يعمل فى سرعة الضوء.. كان يعلم أن رأيها فى دولت غير مشجع وأنها لابد انها عرفت من الوسط الفنى

أنها عاهرة.. ولكن من أين علمت.. رجح أن يكون ذلك حدسها ولكن وضعها المنهار يدل على أن ثمة أحد قال لها شيئاً ما وعلى الفور رجح سميح وعلى الفور أدركته النجدة.. كانت تقرأ أفكاره وكانت رحيمة به وكانت تعلم فى أى شيء يفكر..

- هى قالت لى.. السر لم يخرج بعد..

تهللت أساريره..

- الحمد لله..

- أبى.. أنت لا تعلم..

- أبوك يعلم كل شيء..

- لا.. أنت لا تعلم.. دولت لها قضية معروفة فى الآداب..

- وماذا أيضاً؟

- عاهرة..

- أكبر عاهرة..

- أو تعلم؟

- أبوك يعلم كل شيء.. ما كانت لتخفى عنى شيئاً..

- كيف يحدث كل هذا ولا أعلم.. حب واعتزال.. (؟!!).

- حب واعتزال.. تعالى يا عفريتة واجلسى مكان أبيك..

- لا.. ليس هذا أوان الضحك..

- أنت الآن أمى..

- لا يا أستاذ عاطف محال.. لن تعتزل ولن تستمر فى حب عاهرة..

- مى أنت صغيرة.. أنا أعلم أننى قد أخفيت عنك الحقيقة ولكن المسألة تحتاج منك أن تُعملى موهبتك فى الابداع.. تقمصى دور المعذب الجاف الحياة.. الذى قارب الخمسين بلا حنان.. نصف قرن عشته فى كفاح وربع قرن عشته بلا امرأة وأنا متزوج..

- عاهرة يا أبى عاهرة.. سوف تقضى عليك..

- الله موجود يا مى وهى قد تابت..

- أى توبة (؟!!) الله يغفر لانه سبحانه وتعالى الله..و لكنى لا أملك القدرة على ان أسامحها لا أن أغفر لها..

- لأنك صغيرة..

- لا.. لانها الحقيقة..

- تعودت معك على الصراحة..

- قلها يا أبى.. الحقيقة، ذلك الشيء الذى تبحث عنه دائماً...

- أحبها..

- ضعف..

- ضعف..

- أو تعترف (؟!!)..

- من حقى أن أعترف.. ومن حقى أن أضعف.. ومن حقى أن أحب.. ومن حقى أن أحب عاهرة إن أحبها قلبى.. مى، الله يغفر كل الذنوب.. والمجتمع بدأ يتراجع عن موقفه معها.. واستطرد:

هى فى الخمسين من عمرها إلا قليلاً.. تحتاج أيضاً إلى من ينتشلها من العار.. بالحب.. لا تكونى قاسية.. كونى رحيمة..

- لا أستطيع..

- سأعتزل لأكون مرجعية سياسية مصرية للمعارضة ضد الحكومة، ومع ذلك فى القريب العاجل لسوف أتزوجها عرفيا وينبغى أن تباركى هذا الحب..

- هذا حب ملعون..

- أنت قاسية..

- ستهزمك.. ستحولك إلى أقاصيص فى أروقة الأحزاب.. سميح لن

يتركك يا أبى.. يعتبرها مِلكه..

- أحبها.. وسأدافع عن نفسى وعنها وعنك..

- وأمى..

- فى السر..

- ما الذى يدفعك إلى كل ذلك..

- لأن دولت هى المرأة الوحيدة فى العالم التى أحببتها منذ شبابى.. وهذه هى الحقيقة يا مى، الموقف أقوى منك لأنك ابنتى الوحيدة ولان هذا يمس أمك كريمة ويمس مستقبل الأسرة ومستقبلك أنت أيضاًويمس مستقبلى كسياسى ولكن الشيء المحذور قد حدث وهو أن السياسى المحنك قد أحب أخطر عقلية فى الشرق كله وهى كانت أكبر عاهرة فى العالم وتابت.. هذه هى الحياة يا مى.

الحقيقة الكبرى هى أننى بحثت عن امرأة تساوى الحياة ولم أجدها.. بحثت عن امرأة تساوى التدفق والثورية والتوقد والنضارة والقدرة على اتخاذ القرار ولم أجد ذلك الا فى الملعونة دولت.. التى كانت رجيمة ولكنها الآن على أسوأ الأحوال مجرد شيطانة تحاول أن تتوب.

- محال.. لن تتوب.

- ربما لن تتوب ولكن هذا هو حالنا بين التوبة واللا توبة..

- أنت متعب..

- أخاف عليك..

- أنا فى أمان..

- إذن كل شيء فى أمان..

- هو الحب (؟!!).

- هو الحب..

- ولكنى أرفض هذا الحب.. لقد عودتنى على الصراحة يا أبى.. هذا الموقف فوق احتمالى.. وأنا أرفض أن تعتزل، وأرفض تماماً هذا الحب، ولكن الشيء الذى بيننا عهد هو أننى لن أفشى السر لأننى لن أكون حربا عليك أنا الأخرى.. أحذرك يا أبى واسمح لى بأن أحذرك بان الطامة الكبرى قادمة واسمها دولت..

شعر بارتياح كبير اثر ذلك الحوار لانه كان لابد ان يصارح ابنته ولكنه لم يكن يعلم لماذا قالت لها ولكن عقلية السياسى أدركته انه الحدس.. مى توقعت ودولت أطنبت من أجل أن تنهى المسألة وقد تأكد من ذلك بالمسرة..

المسألة على الجانب الآخر أخذت شكل الشر.. دولت لم تسامح مى كما وعدت عاطف بل راحت تدبر لها المكائد.. الحوار أشعل فيها الغضب والحنق وشيئاً آخر الا وهو بوادر المعركة.. كانت تخشى أن تعطى نفسها بالكامل لعاطف قادها تناقضها مرة أخرى إلى نفس الدائرة.. هل تريد الحب؟.. عاودها الحنين إلى الدعارة.. إلى عناق الرجال وممارسة الشذوذ معهم واليهم.. وجاءت هذه اللطمة لتعكفر صفو قرارها الأخير بالاستمرار فى طريق الحب.. كان التردد يعصف بها وجاءت معارضة الابنة مى.. بثقلها لدى أبيها.. لتشعل نوازع الشر لديها وتفجر فى نفسها التساءول (إلى متى سيظل الحب.. حبها لعاطف؟.. والى متى سيظل حب عاطف لها؟.. عاطف جاد فى الزواج العرفى ولكن الواقع المرير أن سميح لن يرضى عن كل ذلك وهى لا تخشى إلا سميح لان سطوته ساحقة)..

أخذت الأحجار تتدفق فى بحيرة نفسها لتصيبها بالجزع والتوتر.. عاطف.. مجدى.. ابنها.. سميح.. مى، اللطمة.. زواج عرفى.. الحب.. الدعارة الراحلة.. الرجال.. الطبيعة التى لا يمكن ان تتركها.. الشر.. الاهانة المدوية لمى لها.. كريمة هى المتسلطة.. الشهيد الذى بدأت صورته

تعود.. عندما داهمتها كل هذه العواصف راحت الى الخمر تشرب منها ومن كل الأصناف علّها تغيب عن الوعى بالنوم.. كان كل شيء يمكن مقاومته عدا إهانة مى لها دولت لطالما وقفت معها فى مشوارها الفنى على أساس أنها شريكة فى حب عاطف ولكنها الآن تتحول إلى ألد الأعداء فماذا تفعل؟ لم تُمهل أكثر من ذلك فقد حدث انبعاث لكل ما سبق من حياتها.. دق جرس الباب وكان الطارق هو أسامة..

كانت المفاجأة مدهشة.. أسامة (؟!!) بعد كل الشهور الخوالى (؟!!).. نعم الصحبة.. كالعادة ركع أسامة وازدرد ما يكفى لصنع ليلة حمراء.. كانت تقاوم بشدة نداء الغريزة..كانت قد قررت ان تباعد بينها وبين الدعارة، وأسامة رغم انه جاء دون دعارة منظمة.. ألا أنه جزء من انحرافها الأساسى.. كان أسامة بالنسبة إليها الاختبار النهائى والقرار النهائى.. ماذا تريد(؟!!).. عندما لثم أسامة شفتيها كان قرارها جاهزاً (كان الدعارة).. ملت من انتظار الحبيب المجهول تحت جنح الظلام مرة كل أسبوع أو كل أسبوعين.. ملت من رعبها من سميح.. ملت من أن ثروتها لم تزد فى شهور إلا أجر فيلمها الأخير فقط وقد كان يزيد مئات الألوف من الدولارات كل أسبوع.. ملت

من الأحاديث عن العالم المنهار الضائع والمرجعية.. ملت من الحب وصرخت.. الحب ضعف.. ضعف.. ضعف.. لان الحب يحرمها من أحضان الرجال ومن الدعارة التى هى عقيدة لديها من أجل المال ومن أجل الشذوذ ومن أجل السيطرة ومن أجل تدمير المجتمع الذى لفظها ومن أجل تدمير كل امرأة تزوجت شريفة أو شاردة، بل من أجل تدمير الداعرات أنفسهن لان الزنا مع الخيال شيء آخر.. هشمت لوحة تشكيلية جميلة كان قد أهداها إليها عاطف وهى تقول لأسامة..

- يسقط الحب..

ويردد أسامة..

- يسقط الحب.. وهل مازلت تحبين الشهيد(؟!!)..

سقطت كلماته عليها كالصاعقة.. وتساءلت فعلاً.. فى حضن كل ذلك (هل ما تزال تحب الشهيد؟!!)..

كانت الإجابة صعبة خاصة انها بدأت تثمل ولكن بعد دقيقة أضاعتها فى القبلات والخمر أدركت نفسيا أن ليس بالمقدار الأول.. ان الشهيد يتحول الآن إلى مجرد ذكرى لا تضر ولا تنفع.. اندهشت

لذلك.. كيف يحدث ذلك(؟!!) لقد تعودت أنه بمجرد ذكر حبيبها السابق يخفق القلب، ولكن هذه المرة ذكرياتها معه تخبو ورددت (عاطف ذهب بكل الحب)..

كان هذا هو تفسيرها لهذا السؤال الذى زلزلها وهنا هتفت فى سعادة (لم أعد أحب.. لا الشهيد ولا غير الشهيد.. ما الذى يجبرنى على أن أعيش حياة التوتر والقلق والسهاد.. يكفينى ابنى العاق.. (؟!!) ما الذى يجبرنى على أن أكون رفيقة رجل واحد فقط.. لا..

(الحب صعب).. مسئولية وأنا لا أجيد تحمل مسئوليات الحب اللهم إلا مسئوليات الشهرة والسيطرة..

(الحب ضعف).. ولا يليق بمن هى مثلى أن تحب، لماذا؟.. (لاننى الشر) ولابد للشر أن يكون قوياً، لاننى صادقة مع نفسى وصريحة مع الله.. يا رب أعطنى المتعة وادخلنى المشئمة ولكن لا تحرمنى من الحرية فى اتيان الرجال.. وعندما وصلت إلى هذه المرحلة من الوضوح كانت قد بدأت تستريح تماماً، لان الحقيقة انها بالفعل رفضت الحب بعد أن انفقت كل عمرها تبحث عنه فخّلف ذلك فى نفسها ضياعاً فريداً وحسرة على كل ثانية عاشتها فى كنف

حبها الزائف مع الشهيد أو فى انتظار الحبيب المجهول الذى أتى فى الخمسين عمراً إلا قليلاً.. ما خفف الصدمة أن الأحداث الأخيرة تلاحقت تباعاً وأن زلزلة الطبيب العنفوانيّ الحياة مجدى وتشابهه مع الشهيد وزلزال المعتزل عاطف الذى أخذ يليها.. هذان الزلزالان قد أكلا فى نفسها كل ما يمس إلى الحب بصلة وهكذا انزوت ذكرياتها الرصينة مع الشهيد إلى النسيان، تخلصت فى شهور من عبء السنين ومن فلسفة مجدى الذى استشهد فى حرب تطوير المدرعات فى حرب أكتوبر المجيدة (؟!!) فلماذا إذن لا تعود إلى حياتها السابقة من خمر وأسامة؟ أى إلى العشاق الشخصيين الذين لن تحرمهم منها ومن الدعارة المنظمة إذ مئات الألوف من الدولارات أسبوعياً ومن سميح الذى باعدته منذ قبل التعرف على عاطف والطبيب لان شبح الشهيد كان بينه وبينها.. ستتعود إلى سميح الذى صارحها بانها طالما تحب الذكرى فلا تجالس الحاضر.. ستعود إلى الدنيا كلها بلا حب.. خاصمته.. ردته.. مزقته.. طلقته.. ضحكت ملء شدقيها عندما وصلت إلى هذه الأفكار لان معنى ذلك هو ممارسة الشر وتدمير كل اسس المجتمع الذى تنكر لها.. ستتلاعب بعاطف وترشف الطبيب

ابن لبنى الفاجرة على حد زعمها وتنكل أشد التنكيل بمى.. لقد حدثت المعجزة.. تناست الذكريات المريرة مع الشهيد ولأول مرة تصل إلى عنفوان قوتها بأن فجّرت بداخلها براكين الشر فانطلقت دون مقاومة تُذكر ضد مى.. وصرخت (سأحطمها) (أنا من صنعتها وأنا من سأحطمها).. فى هذه اللحظة أدركت الخطة.. ستلوثها فى كل مكان وتحولها هى إلى عاهرة حقيقية.. مى صارحتها بأن دولت عاهرة.. ولكن دولت قررت أن تحول مى إلى عاهرة حقيقية ساقطة من كل المجتمع. لسوف تدبر وتخطط ومع اصلاحها لمواقفها مع سميح سوف تتنفذ الخطة التى أعلنتها لنفسها: (فيلم جنسى بينها وبين أى شاب ينهى كل المسألة.. ينهيها وينهى كرمة وينهى أيضاً عاطف الذى لابد ان تنتقم منه (لانها أحبته) ولأن عُرفها الجديد أن الحب كله ضعف وأن التنكيل بالضعف هو أول الواجبات وأن ممارسة الشر أصبحت هى الأساس وضد كل من يعتدى عليها، وقد اعتبرت أن هذا قراراً نهائياً خاصة أنها بعلاقتها الواسعة مع ذوى السلطان والمال تستطيع أن تفعل الكثير.. هنا راحت إلى سعادتها الأولى فلاحظ أسامة ذلك وقال (وماذا يسعدك).

فردت على الفور (لم أعد أحب الماضى.. لم أعد أحب الشهيد)..

- هذا منطقى.. الماضى ماضى..

- تصور؟ كدت من جنونى أن ارتكب أكبر حماقة..

- ما هى؟

- كدت أن أتزوج..

- من؟

- عاطف عاطف عاطف..

- محال..

- لماذا؟

- انه متزوج وعضو سياسى بارز وأنت عاهرة..

- أنا أكبر عاهرة، ولكن هذه هى الحقيقة، ولكنها أصبحت من الماضى أيضاً..

- تماماً؟

- تماماً..

- هذا أفضل.. رحم الله الهوى كان صرحا من خيال فهوى.

- تعالى وأشرب على أطلاله.. وأروعنى طالما الدمع روى ولم تمر

دقائق حتى كانا فى سهرتهما الحمراء ولكنها لم تتمكن بعد من أن تأخذه إلى شذوذها..

* * *

تركها أسامة جثة هامدة ولكن النوم لم يداعب جفونها فراحت تزدرد خمراً أخرى حتى دارت الدنيا بها وما هى إلا دقائق حتى جاء الغائب، إنه سميح..

* * *

لم تفهم لأول وهلة لماذا عاملها بهذا الشكل فقد صفعها بمجرد أن فتحت الباب.. كان الصفع متواصل وقد وصل إلى رقم خيالى.. أصابها الشلل التام.. كانت تصرخ تستنجد به، بالشهامة، بالحب، بكل شيء فما يزيده ذلك إلا إمعاناً.. كان سميح يصرخ (كلبة.. ستظلين كلبة.. تعيشين وتموتين كلبة.. لن تحفظى الجميل لأحد ولكن سميح ليس شحاذ غرام وليس من الضعفاء.. سميح سيسحقك أنت وكل كلابك..)..

أدركت أن هذا هو نهاية صبره ولكن لابد أن ثمة شيئاً أثاره حتى الجنون.. راحت تبحث فى الومضات الفارقة بين كل صفعة واختها عن ذلك الشيء ولكن ذهنها المشتت لم يسعفها.. لم يكن الضرب هو

من يؤذيها لانها كانت كثيراً ما تحبه خاصة مع سفلة المجتمع (كما تسميهم) مع البوابين وعمال التراحيل، كان كل من سبق من ضرب وإهانات بإرادتها، هذه هى المرة الأولى التى تهان الاهانة الكبرى دون ارادتها لهذا لم تستعذب الضرب ولم تحمد الاهانات. فى سرعة خاطفة وجدت نفسها ممزقة الثياب تماماً حتى العرى بينما سميح عارياً.. كانت محطمة فعشرون صفعة رهيبة مع كل هذا اليوم من صراعات مع الخمر مع أسامة قد نالوا منها.. كان هذا هو الشعور الأخير الذى تمنت أن تستشعره الا وهو الاغتصاب.. الحقيقة انها عددت شعورين الاهانة المتعمدة بالضرب واهانة الاغتصاب وها هما تأتيان على يد الحاضر الغائب فى حياتها..

كان سميح عنيفاً إلى حد السادية المتوحشة.. كان صامتا الا من لهاث ممزوج بخمر وسيجار، بينما دموعا لا تشفع بل تثير أكثر.. أخذها فى كل الوجوه.. عاملها كحيوانة ذليلة وكانت العبارة التى دائماً ما يقولها (هذا ما تستحقيه).. كانت تعلم أن الصدام مع سميح آت فى موعد لا ريب فيه كالقيامة كما كانت تقول، ولكنها لم تكن تدرك أن الصدام سيجعله بهذا التوحش.. كانت نفسها تريد دائماً

(نلت مني).. وبعد نصف ساعة تركها حطاماً.. ارتدى فقط ما يدارى عورته وانتظرها جالساً على كرسى وثير.. تركها نصف ساعة وصوت بكائها يمزق كل نياط القلوب فقد آلمها تماماً الضرب والاغتصاب، كانت تتمناهما ولكن لم تدرك انها أشد وقع على النفس من الموت.. كانت تحاول الصمود والخروج من حالة الوهن التام والانكسار الرهيب لتنتقم، ليكون لديها رد فعل على كل ما سبق، كانت واهنة.. كانت تردد (ظالم.. مستبد.. كلب..) دولت ترد الاهانة.. وكان يرد على كل ذلك بضحكة صفراء ساخرة.. كان كلما مر الوقت زاد من رسوخ رد الفعل.. دولت مرت بعدة حوادث فهى أولاً المحبة من الشهيد وثانياً الباحثة عن الحب وثالثاً القضية ورابعاً عاطف وخامساً أسامة وإعلانها انها لن تحب، بل تجردت من كل عاطفة وانفجر بداخلها بركان الشر فزاد قنوطها من الحياة وفارقت منها المتعة حتى لقبت حياتها (بالحياة الجافة) جاءت هذه الواقعة الرهيبة لتزيد جفاف حياتها جفافاً وفقدها للمتعة الدنيوية فقداً.. كانت علاقتها واسعة ولكن سميح كان أبا الشر، وكانت تخطط من أجل أن تعتلى السطوة عن طريقه، كان هناك بريقا، قوة، الأمل أنها لم تُهن فى حياتها رغما

عنها ولم تغتصب والثانى هو ابنها وهكذا فى لحظة واحدة أطاح سميح الذى أتى على نصف كرامتها بالاهانة والاغتصاب وبقى لها النصف الآخر والذى هو القوة الدافعة للحياة الا وهو حبها وحب ابنها لها، فقد كانت ترى فيه الجيل كله كما تردد. الشيء الذى كانت تجهله الاستاذة دولت أن الإنسان لابد ان يكون فى حياته شيئاً طاهراً من أجل الحياة نفسها وأن اللحظة التى يفقد فيها الانسان اخر شيء يربطه بالخير فلسوف ينفرد بنفسه وتنفرد به نفسه لتتفجر به أمارات الاكتئاب والوحدة فاذا به اللاشعور منه وهذا هو الويل لان اللاشعور فى الانسان هو الظلام فاذا ما احتواها اللاشعور والظلام لابد ان تتفجر نواحى الشر قاطبة وتكون النهاية، من أجل ذلك فقد أصبحت على خطر وشيك لانها وفى رحلتها الطويلة فى الحياة لم يعد لها إلا بؤرة واحدة لا طاهرة فقط بل محبة لها ومحبة لها ألا وهى الابن مجدى. هذه البؤرة الوحيدة هى الفارق الأساسى بين الظلام الدامس والنور، ومع الظلام النهاية..

كل ذلك أسلمها إلى شعور مريع بالضعف والهزيمة والحقارة ومعه كل اليأس فراحت تقاوم كل هذا الوهن واليأس باكية منتحبة

حتى سترت نفسها وراحت هناك على الكرسى المواجه له وقد انهمرت دموعها.. أما سميح فقد كان على النقيض من كل ذلك كان دائم الضعف امامها لانها الخيال ولانه يحبها حباً عميقاً أخاذاً.. حدث الشيء الذى لا يمكن ان يتوقعه.. كان سميح يعلم عنها كل شيء، كان يعلم انها لا تزال فى غيها سادرة، تخالف أوامره ولكن عاطف.. لا وألف لا.. لان عاطف عاطف عاطف هو عدوه اللدود.. انفجر عندما علم بالحب بينهما فراح للانتقام فضرب وأهان واغتصب كأنه ومن وجهة نظره يأخذ حقه. ومع كل ما سبق حدث ذلك الشيء الذى لم يره من قبل رأى دموعها.. دموع الضعف والمذلة.. فاستمتع وزادت ساديته ومعها التوحش فى الضرب والاغتصاب ومع كل ذلك الزهو بها.. لم يذهب إليها الا من أجل الانتقام وابعادها كل البعد عن عاطف ولكن المسألة اخذته إلى شيء سعد به الا وهو الزهد بها لا لأنه يعتبر الحب ضعفا ولكن لأنه أسماها العذاب فهى فى كل يوم بشكل ورغبات وأمزجه وما أكثر قنوطها واحباطها وحزنها وإحزانِها لكل من حولها ولكن حبه المتدفق لها كان يمنع الفراق. فى نفس الوقت احباطها المستمر كان مدعاة إلى الفراق، وحدثت

الاهانة البشعة بالضرب ونال منها فى أوهن حالاتها قاطبة فارتوى ظمأه فى النيل منها وارتوى فى داخله شلال شذوذه بأن ينال من يحب بقسوة تفجر فيه كل حالات الضعف، وهكذا وصل إلى الارتواء فى عالم الشواذ. هكذا بدأ زهده بها، وهكذا عندما نال منها استراح وسعد وراح يمنى نفسه بأن ينتقم منها أشد الانتقام لِما فعلت به ولعدم احترامها له ولعدم انصياعها التام له.. تواجها.. كان يشرب كأسه فى هدوء وقد ابتسم ابتسامة صفراء.. سألته (لماذا؟)..

- الروب..

وفى لمح البصر أتت إليه بالروب دى شامبر..

- كل شيء أستطيع أن أسامح فيه إلا عاطف..

- من عاطف(؟!!)..

وهناك ضحك سميح...

- ساحرة كاذبة خادعة.. دولت.. سميح لا يُخدع.. سأقول لك القصة من بدايتها حتى لا تتورطين فى الكذب فأنا أخشى عليك المزيد من الكذب.. أنت لم تمتنعى عن الدعارة رغم كل ما اغدقته عليك من ملايين الدولارات.. أنت تعلمين أننى كنت أريدك لنفسى ولكنى

بعد القضية وبعد أن وقفت معك فى الورطة الكبرى التى أطاحت بعنجهيتك وبعالمك، بعد أن وقفت معك فى القضية الملعونة وضعت أنت رأسى فى التراب بأن تحولت إلى المشاع.. الأصدقاء القدامى عادوا إلى أحضانك والدعارة المنظمة عادت أدراجها..

- هذه حياتى..

- انتظرى حتى أكمل حوارى معك يا أخون خائنة، والدليل أن كل الداعرين الذى يأتون إليك من أصدقائى وكانوا يخفون عليّ الحقيقة.. أنا لم أقربك من عام منذ العودة إلى الدعارة المنظمة.. هذا يضع رأسى فى الوحل لا فى الطين.. ولكى اختصر، أسامة هو عينى عليك.. وقد أعطيته أمواله فى المرة الأولى ومنذ ساعتين كان فى أحضانك يا كلبة..

- كلب.. أسامة كلب.. كان كلباً وظل كلباً..

- أسامة كان عينى عليك ومنذ ساعة أخبرنى لماذا تراجعت يا كلبة عن أصدقائك وعن الدعارة المنظمة إنه عاطف بل الأمر وصل إلى حد الزواج.. من قبل كان الشهيد وحب ثلاثة عقود.. كان الشهيدحائلاً بينى وبينك والآن عاطف.. حب وزواج(؟!!!)... أنا عرضت عليك الزواج العلنى والعرفى وأعددت خطة كبرى من أجل

العودة إلى المجتمع على المستوى العربى كله ولكنك أنت من عطلت الخطة.. أنت عاهرة.. وستظلين عاهرة..

- أحببته..

- هكذا تعترفين..

- نعم.. ولكن ليس من حقك ما فعلت.. سأقتلك فى يوم من الأيام..

- سميح يفعل ما يشاء فى أى وقت وأنا أستطيع تصفيتك فى أى وقت وبيسر تام..

- ليكن الفراق..

- ليس بعد.. أنت ملكى.. أنا أعلم أنك غاضبة ولكن الحظ ساعدك لان العلاقة انتهت، تلك العلاقة بينك وبين عاطف..

- انتهى بيننا كل شيء من ناحيتى أنا فقط..

- مازال يحبك؟

- نعم..

- سأقولها للمرة الأخيرة.. وأنتِ؟

- لا.. لم أعد أحب أحداً..

- سأنتقم منه ولابد أن تساعدينى..

- بأى ثمن؟

- لا تساومين.

- شركة إنتاج..

- لا تساومين..

- قناة فضائية..

- لا تساومين..

- كم؟

- مليون دولار..

- ومعى الخطة..

- كيف تحبينه وتنقلبى عليه هذا الانقلاب الرهيب (؟!!).

- دولت لا تحب..

- ولا أنا..(؟!!).

- أنا أحببت مجدى لانه كان يجب أن يُحب، وأحببت عاطف لانه يجب أن يُحب فقط..

- هذه أكبر إهانة وجهت لى فى حياتى..

- لانه عدوك فقط.

- ليس عدوى فقط بل عدوى اللدود.. لقد شن عليّ عشرة حملات صحفية حتى فى الصحف الحكومية.. أخطبوط هذه هى النهاية..

- سأحطمه..

- لماذا؟

- لاننى أحببته..

- الحمد لله أنك لم تحبينى..

- لا تقل الحمد لله..

- أنت طاغية ولكن لا تنسين أنك فى النهاية امرأة ضعيفة..

- ولا تنس أن عاطف قصمك.. كما قال لى.. سبعة مرات فأضاع منك على الأقل ثلاثين مليون من الدولارات..

- حقيقة..

- إحذرنى فإنى لن أسامحك..

- صفقة..

- اركع..

- دعك من هذا الجنون..

- خذ المليون دولار.. خذ أموالى واركع..

- خذى أنت كل أموالى واركعى..

- ستركع فى يوم من الأيام.. ستركع من داخلك.. لانك فقدتنى الساعة..

- كان لابد من الفراق..

- لن تلمسنى بعد الآن..

- ليكن ما بيننا العمل فقط.

- ليكن..

- عاطف..

- مليون دولار.. تحالف وكل صفقة لها ثمنها..

- شريرة..

- الشريرة من فضلك..

- خطتك..

- عاطف سيعتزل..

- هذا أسعد خبر سمعته فى حياتى..

- سأحطمه..

- كيف..؟

- كيف أنت.. ما هى خطتك؟

- المليون دولار فى حوزتك..

- إذن أنا..

- نعم.. تلويث.. سنقول عنه أنه سيعتزل وسنقول عنه أنه عشيقك وأنت بالتأكيد سوف تعترفين فى المجلات.. الصحافة الصفراء..

- معى أدلة..

- يا ساحرة..

- أولاً صورته وعليها أهداء بخط يده وامضائه فيها ثلاثة عبارات عن الحب الداهم ثانياً فصل عن مذكراته الشخصية فيه بعض المعلومات عن زوجته وعن الجفاء بينه وبين زوجته متضمناً ذلك رأيه فى المرأة وفى آخر الفصل قراره بالاعتزال.. هذه النسخة الأصلية لبداية مذكراته وأنا من أشرت إليه بكتابة المذكرات لانه يريد أن يتحول إلى مرجعية.. دليلان رهيبان.. ستحطمه..

- سنحطمه..

- سنحطمه..

- ولكن لماذا كل هذا الحقد عليه(؟!)..

- لأنه لابد من النهاية ان يبقى أستاذاً إعلامياً واحداً ألا وهى

الأستاذة دولت..

- هو الحقد عليه لانه غير متربح..

- نعم..

- ما أجمل الحديث الصريح..

- أنا أيضاً لن أنسى أنه كان حرباً عليّ من الخفاء إبان القضية..

- أ\نا أؤكد لك ذلك..

- أريد دليلاً على ذلك..

- تريدين خط رجعة ليكون معه خط اللا رجعة..

- وأنا (؟!)..

- أحذر دائماً دولت يا سميح.. أنت قوى جداً ولكن دولت ستدخل عالم رجال الأعمال قريباً وستكون لى سطوة فى مثل سطوتك وأنا الخيال..

- والحب..

- دولت لم تعد تحب..

- كنت تحبين..

- كنت..

- والآن؟

- نادمة على كل لحظة مرة فى حياتى أحببت فيها مجدى.. ونادمة على كل لحظة مرة فى حياتى أحببت فيها عاطف و نادمة على كل لحظة مرة فى حياتى وأنا أنتظر الحب المزعوم.. لا يوجد شيء اسمه حب.. يوجد البطش..

- أصبحت شريرة يا دولت ولكن نصيحة منى لك لابد ان تعرفى حدودك انت فى النهاية مجرد امرأة..

- نابليون قال (ابحث عن المرأة)..

- نابليون مات فى سانت هيلانة..

- نابليون هو الوحيد الذى وحد أوروبا وأجبر البابا على التاج..

- ساحرة.. مجنونة..

- هذان هما الدليلان.. صورة وهو فى قمة النضج ومعها فصل من عشرة ورقات.. كلاهما بخط اليد.. ستجد ستة عبارات عن علاقته الزوجية وستجد تبريره لقراره بالاعتزال..

- واضح ان العلاقة بينكما وصلت إلى اليقين بالارتباط.

- أكثر مما تتصور..

- كم هو الرجل ضعيف أمام من يحبها..

- هذا هو الخطأ الوحيد للأستاذ.. والضربة قاصمة..

- تماماً..

- كل هذا شق من الحرب..

- ماذا تقصدين؟

- ابنته..

- مَيّ(؟!!).

- نعم.

- ما لى بها..

- هذا هو كيد النساء..

- ماذا تقصدين؟

- تلويث إجبارى..

- هذا حلم.. أنت هكذا تدفعينه إلى الانتحار لا الاعتزال..

- تجاوزت كل الحدود معى..

- كانت تلميذتك وصديقتك..

- كانت.. اليوم هى مارقة ولابد أن تتحطم..

- أنت هكذا تحاصرين عاطف.. هو وزوجته وابنته ماذا تنوين عمله معها..؟

- فيلم جنسى مع شاب. كم كنت أود أن يكون معك ولكنك لن ترضى خاصة أنه سيتوزع على كل أعمدة المجتمع..

- تريدين تدميرها..

- نعم..

- هذا هو المحال..

- راودها عن نفسها مع أحد الوجوه الجديدة وادفع..

- لن ترضى هى ابنة الأستاذ.. عفيفة وشريفة..

- هى فى أمس الحاجة إلى النجومية والى المال.. لم تصرح لى ولكن طموحها كبير فى أن يكون لها شقة فاخرة على النيل.. لن تعرف بأمر التصوير وستقع، هكذا ستضمن أن تقضى عليه..

- هذا صعب..

- هذا مقابل هذا واعتبر المليون دولار لها..

- مليون دولار(؟!!)..

- لن تسقط بأقل من ذلك..

- ما هى خطتك(؟!!).

- كلام صريح.. عقد بعشرة أفلام عن طريق أحد عملائك أى الطريق الكامل للنجومية بأعلى الأجور ومع كل ذلك مليون دولار مقابل أن ترضخ ليلة كاملة مع أحد الشباب بالطبع دون أن تعلم أن هناك تصوير..

- سنحاول..

- سترضى.. لا يوجد خليعة ترفض هذا العرض الكبير..

- أنا مصمم على ذلك.. ستكون الضربة رهيبة..

- ولتكن هذه هى أولى العمليات.. ولتكن هذه هى البداية التى ستبدأها دولت.. سأدخلت مجال رجال الأعمال ولسوف أؤسس لقناة فضائية جديدة.. ومن أجل المستقبل سأكون صريحة معك.. كات علاقتى معك عبئاً عليّ.. أنت قيد حول عنقى.. لانك تريد احتكارى.. احتكار النار.. والنار لا تحتكر.. انت تدخل إلى النار ولكن لا يمكن لك أن تمتلكها..

- امتلكتك قليلاً يا دولت..

- كان شهراً واحداً..

- والحب؟

- مازلت تصر على الحب.. لم يعد فى الدنيا حب..

- ولكنى سأظل أبحث عن الحب..

- من مهد إلى مهد ولكن الا مهدى..

- لابد ان ترضخى لى..

- كان ذلك قبل الاهانة والاغتصاب..

- هذا شهر آخر من الصفقة.. من أجل أن تعترفين للإعلام بحب عاطف لابد أن تبتعدين عن سميح..

- اعترافى هو سيد الموقف ودع هذا لى.. ولكن هذه المرة لن يخدش الاعتراف موقفى الاجتماعى..

- اعترافك هو الأساس..

- كل الخطة أساس.. مى، زوجه كريمة، التى ستبادر بالطلاق.. هو.. صورته وخط يده وفصل مذكراته الذى يؤكد الاعتزال.. اعتزاله.. كل شيء سيؤدى به إلى الانزواء.. انت ستقضى عليه وأنا سأقضى على ميّ..

* * *

الخطة كانت محكمة والمال كان الوقود لانجاح كل شيء ولكن الفيصل كان اعتراف الاستاذة دولت بالحب الذى ربطها بالاستاذ، ولكنها بالتأكيد تتنصل من أنها هى التى زجت بالوثائق إلى الصحافة

الصفراء والفيصل الثانى كان إرادة مى فى هل تنحرف أم لا.. أما دولت فهذه علامة فارقة فيها لانها لأول مرة فى حياتها تنفرد بالشر، فهى قررت أن تنتقم من كل الحب وأن تدخل باب رجال الاعمال وتؤسس لمحطة فضائية وكان هذا هو حلمها الصراح لانها بذلك تدخل فى زمرة آل النفوذ فى الشرق الأوسط كله.. كانت جسورة وقوية وشبقها الرهيب لتعويض ما فاتها بالقضية يعصف بكل شك، فهى ستدك عاطف دكاً وتحطم مى ولسوف تستوعب مجدى الطبيب تماماً وقد أكدت له خطة مفادها أولاً أغداق المال عليه لضمان عدم الريبة ثانياً ادخاله فى عالم الضوء الأحمر معها حتى انهاكه، ثالثاً المخدرات فقد قررت أن تحوله إلى مدمن هيروين وهكذا تنتقم من زهرة عائلة الشهيد ووحيد لبنى ورشدى، ومن أجل أن تنتقم منه أيضاً بهذا الاستيعاب لانها فى يومن من الايام قد أحبته(؟!!)، وأما سميح فقد أعجب لأول مرة بعقلها التدميرى ولكن هذا الوميض القوى من التفكير فى الشر ومنه إلى قرارها بالدخول فى زمرة رجال الأعمال ونساء الأعمال ومن ثم الى عالم الفضائيات هذا الوميض القوى أعاد سناها بداخلها فشعر أن سحرها مازال به السنا وأن دولت لا تنتهى بسهرة حمراء واحدة.. والمتعة فى تحطيمها لا تنتهى بعشرين صفعة

واغتصاب بل بملايين الصفعات وعشرات الاغتصابات.. وهكذا عاد إعجابه بها فآلمه أن تباعد بين جسديهما.

أسرها فى نفسه، وموضوع الساعة بالنسبة لديه قد أجبره على ان يتعامل معها من منطلق الأمر الواقع الا وهو تدمير عاطف. أصر على أن يكرر فعلته معها مع الانتقام الأخير بأن يقطع علاقته بها وفى لمح البصر قرر، لابد ألا يسمح لها بالدخول فى عالم الفضائيات ولابد أن تخسر كل صفقاتها فى صفقة كبرى يجرها إليها ولابد ان يمنع عنها رأس المال عن طريق الدعارة المنظمة وهذا ما بدأه على الفور، ولابد ان يحرق لها كل شققها وان يحولها فى النهاية إلى شحاذة معوذة، ثم يغتصبها الاغتصاب الأخير.. هذا ما قد قدح زناد فكره فيه فى أن يتغلب عليها التغلب النهائى وأن يتفوق عليها تفوق الشر للشر لأن مخططها كان يافعاً وقوياً ولانه تضمن الاستاذ عاطف تدميراً.. كان كثيراً عليه أن يتقبل كشرير أصيل هو الآخر أن تهديه دولت.. وهى فى نظره مجدر امرأة شريرة ضعيفة.. خطة محكمة تدمر الرجل الذى دمر على كل رجال الأعمال وحطم عشرات الصفقات وتحول إلى الشبح الذى ما أن يكتب مقاله الأسبوعى أو اليومى أو الشهرى حتى يتكهرب عالم المال والتجارة فى مصر وتدور عشرات الاتصالات

وتتوقف عشرات الصفقات.. وهكذا هتف سميح وهو يركب سيارته الفارهة (سأحطمه وأحطمك يا دولت).. وأما مى فقد كانت فى وادٍ آخر.. كانت تعانى الصدمة فى كونها باعت بكارتها لأول طالب.. نعم فقد أحبته حباً جنونياً مقدساً ولكن الحاضر فى ذهنها ان البتول بتول وان المرأة امرأة وانهما مهما حدث من تلاقى القلوب فانه يتبقى فاصلاً بين التقاء الأرواح والانفس والقلوب حباً وغراماً وبين التقاء الأجساد.. كان حب مجدى آثراً لها.. حول الدفقة النفسية فى عمقها إلى حركة نفسية وجسدية معاً أى أن الدافع العاطفى أثار الدافع الجسدى الطبيعى فى ارتواء المرأة من الرجل ولما كان الحب لمجدى طاغياً فقد دفع ذلك الحب الدافع الجسدى لتتحول معه الرغبة الجسدية إلى ضرورة وكان مع ذلك الضعف.. كانت هذه هى الطامة الكبرى التى توجت ما قبلها من احساس عميق بالضياع فى أسرة بها الجفاء، أمها ليست أمها بل قبلة روتينية لا تعرف فى المودة إلى مظاهرها. أبوها هو الأستاذ الذى يحاول ان يعوضها حب الأم وحب الأب وقد أسلمها هذا الخلل الاجتماعى إلى خلل عاطفى راحت ترويه بطلب الحب من شريك الحياة.. عندما جاء، أسلمت له النفس والجهد وعندما ارتوت النفس راحت لتستكين ولكن عندما

ارتوى الجسد راح يطلب أكثر لان هذه هى عادة الاجساد التى ترتوى من الجنس فتصيب منه بقدر الاستطاعة.. هذا ما أدهش مجدى الطبيب أكثر فأكثر إذ أنها ما كانت لتكتفى أبداً من أمارات العناق ومن أمارات اللقاءات المتعددة مفسرة ذلك بأنه الشوق وكان يصدقها ولكن الحقيقة أن العلاقة المحرمة والتى أتت فى غير موضعها وفى غير وقتها ومع استبقاء الحب العميق بينها وبين مجدى هذه العلاقة أسلمتها إلى شعور عميق بالضياع لانها كانت تدرك فى أعماقها انها (تخون الله) وتخون المجتمع وتخون أباها وتخون أمها وتخون أسرتيها.. هو ضياع الخاطئة.. وقد أزاد الطين بلّة أنها رقيقة حساسة وأن أدوارها فى السينما كانت تتعلق بهذا الموقف وهى أنها صاحبة أدوار البنت الشريفة خاصة الشرف الجسدى مما رسب فى نفسها شعورها بالنفاق وراح يطحنها هذا الشعور من جانب والضياع من آخر والشبق من ثالث حتى أسلمها إلى الجحيم وكانت الضربة الكبرى التى أطاحت باتزانها وفقدانها الثقة فى كل شيء هو حب أبيها من دولت العاهرة على حد زعمها كان هذا هو الطريق العميق إلى الضياع، جوهر هذا الموضوع انها تأكدت بحاستها أن عاطف قد ضاجع دولت وأنه قد نال منها الهدوء، وانها قد نالت منه الثقة

بالزواج حين الحديث معها.. فعلها إذن وكان هذا مبرر لان تفعل مثله.. كان الضياع ساحقاً وكان طلب أحد المنتجين منها سهلاً هو حفلة لابن أحد الأثرياء فى مقابل كل ما سبق.. سهرة حمراء واحدة مقابل كل ذلك وفى خلال يوم واحد وافقت مى وفى خلال أربعة وعشرين ساعة كان فى حوزتها ربع مليون من الجنيهات المصرية لان هذا كان الشق الأول من صفقة الليل الحمراء لا المليون دولار والشق الثانى كان أمهارها أولى أفلام البطولات..

وفى الليلة التالية بدأت تصوير الفيلم وفى نفس الليلة كان كل من دولت وسميح يشربان نخب الانتصار وهما يشاهدان ساعتين من العناق ومن الارتواء الجسدى، ذلك الارتواء الذى شجع سميح فى أن يطلب مى فى ليلة ساخنة ولكنه أَجّل ذلك حتى تمام الضربة الثلاثية، الا وهى الفيلم لمى والصورة وفصل المذكرات والذى باعتراف دولت سيتحول إلى حقيقة، لينزوى الأستاذ إلى القاع بعد حياة حافلة بالكفاح من أجل رفاهية المجتمع، ومما أزاد الطين بلة أن الأستاذ عاطف قد يشيع فى الوسط السياسى وعن طريق بعض الزملاء فى الحزب نبأ اعتزاله لانه قد ضاق بكل شيء بالحكومة والمعارضة وبالفوضى التى تحكم العالم وانه لابد وان يتحول إلى مرجعية للمعارضة وقد قوبل

هذا من الاصدقاء إلى هجوم عاصف ضده فى مجال العلاقات الخاصة والتى لا تخص النشر ولكن الأستاذ صمم على موقفه..

كانت هذه أولى خطوات الخطة الكبرى لدولت ألا وهى خطة تدمير عاطف وقد أشرفت مع سميح على كل شيء، وعندما علموا ان الأستاذ قد صرّح لبعض الأصدقاء بنواياه للاعتزال قررا بأن يكون الهجوم فى خلال شهر من الآن، وقد كان ذلك مع بداية فصل الشتاء.. وفى نفس الحين تم الاعلان عن تأسيى مكتب الاستاذة دولت والذى يعمل فى التجارة والاستيراد والتصدير والذى أسمته بالاستيراد والاستيراد ليزداد ثقلها فى الوسط الفنى خاصة انها أعلنت أن المكتب سوف يبدأ فى الانتاج السينمائى أيضاً.. هكذا دخلت دولت باب التجارة والنفوذ والفن الانتاجى فى غضون أسبوع واحد من بداية إقرار الخطة والتى كانت ستبدأ من جريدة أوروبية لها توزيع بمصر تهاجم الأستاذ عاطف بالصورة والمقال (فصل المذكرات) وفى نفس الوقت يلتهم الفيلم مى وعاطف والأسرة كلها..

فى الأسبوع التالى بدأت الخطوة الثانية الا وهى الطبيب مجدى.. كان هذا هو اللقاء الخمسين فى غضون ثلاثة أسابيع، أنهكته تماماً، وصارت متعته معها وإغداقها عليه هما السلطان الأكبر فى حياته

حتى جاء ذلك على ارتواء مى معه ومنه. هذا التعاقب ادى إلى ارباك دولت بحاستها ان ثمة عشيقة أخرى له فراحت تراقب حركاته وكلماته وحالته الذهنية، كان مرهقاً وبخبرتها الواسعة فى عالم الدعارة أدركت أن ثمة أخرى فقررت أن تفكر.. كان يمكن ان تراقبه ولكنها أرادت أن يكون الدليل دامغاً.. أحصت عليه أولاً.. الانهاك العاطفى الشديد، ثانياً شرود الذهن ذلك الشرود المعنى بشرود العاطفة معه، وليس ارهاق الذهن مع الجنس والذى يؤكد أن نفسه مشغولة بموضوع ما وبادماج الانهاك العاطفى مع الشرود الذهنى يتأكد حدس أن هناك أخرى، ثالثاً انهاك الجسد الذى يتضح معه أن ثمة لقاءات جنسية أخرى تأكدت من ذلك بأن أعطته راحة يومين وإذا به خائر العزم جنسياً بعد الراحة، رابعاً الحالة العامة تؤكد أن ثمة فصيلاً عميقاً من التفكير والتوتر قد ملأ عليه حياته، خامساً أنه لم يعد شغوفاً بها وأن هناك فجوة بين الرغبة الجنسية الحارقة وبين الرغبة المعنوية العاطفية مما أكد لها أنه يعتبرها جسداً وأنه قد بدأ يبتزها، سادساً هناك عطر انثوى آخر وكانت الطامة الكبرى عندما علمت أنه نفس عطر مى.. هنا لم تكمل تحليلها فراحت وهو يغتسل تفتش لأول مرة جيوبه فاذا بها تجد ضالتها وهى صورة مى ومطبوع خلفها بصمة

الشفاة وقد كتب عليها (حب إلى الأبد) وهنا ثارت.. أدركت من تاريخ الصورة أن مجدى فى حب منذ زمن طويل مع مى وأنها كانت مغفلة وأن مجدى يبتزها منذ زمن طويل، لم تفكر أبداً فى أن ينفلت مجدى منها، أرجعت ذلك إلى الغرور الجامح بها إذ لم تدرك ذلك فى حينه قررت الانتقام.. خاصة بعد أن تذكرت عدة مواقف كان واضح فيها ان مجدى متيم بأخرى وبالتحديد بمى التى كان يمتدح تمثيلها فى كل حين.. الانتقام. هكذا قررت وفى ثوان أعدت خطة الدفع.. قررت أن تعاود ممارستها الجنس معه الأن وأن ذلك يستلزم تسخيناً وأن هذا التمهيد التسخينيّ سيتحتم عن طريق مشاهدة فيلم جنس لمى وبالطبع لن تصارحه بحبه بمى بل ستتركه يُصدم حتى يضيع فيكون ذلك مبرراً لدفعه الى المخدر بعد انهاكه جنسياً.. بعد تفكير عميق ومع عدة كئوس من الخمر أدركت أن التكتيك لابد ان يكون قوياً والعزم نهائياً لان اقناع طبيب بالمخدر يكون درباً من الخيال لهذا فلسوف تدفعه فى لحظة اليأس بأن يتخدر خاصة عندما يغوص معها فى الجنس لينسى محبوبته ولسوف تدفع كل ذلك دفعاً بعرضها له بأنها قد وجدت له عملاً مجزياً بإحدى شركات الدواء العالمية فيسقط أكثر فى براثنها وعندما تعرض عليه المخدر والمقويات والمال

بعد إنهاكه عقلياً وجنسياً سوف يكون محبطاً مكسور العين فيروح الى المخدر لينسى كل شيء وما هى إلا القليل من الهيروين ويتحول إلى كلب مدلل كما أطلقت عليه.. كان وقع المفاجأة عليه عميق عندما عرضت عليه شريط سرى غير متداول وأن مدة سريته شهر واحد وبعد ذلك سينطلق فى الأسواق وأنها سوف تأتمنه على هذا الشريط السر ألا وهو مى وهى تمارس الجنس، ولاحظت انفعالاته.. كانت الصدمة قاسية عليه لان الحب بينهما كان كبيراً.. لم يصدق انها مى ولم يصدق انها كلها شهراً واحداً فقط وتتحول إلى عاهرة وانه لن يمنع ذلك ولن يستطيع لانه كما فهم من دولت قد وقع فى يد العديد من المنافِسات وفى عالم السوق والمال (لا رحمة)..

الحب بين مى ومجدى كان عميقاً، كان طوداً شامخاً رغم ما كان بينهما من ارتواء جنسيّ وفى لمح البصر انهار الاخلاص فقد أدرك انها قد باعت جسدها بمقابل عشرة آلاف جنيه (هكذا قالت له دولت).. هكذا انهار الحب لان الرجل يسامح فى كل شيء إلا أن تسلم حبيبته جسدها إلى آخر.. والمسألة لم تكن تسليماً بل كان عهراً.. لقد سلمت جسدها مقابل المال.. وعندما رأى الفيلم طالبته دولت باللذة فراح يتحجج بانه يريد ان يبول فى دورة المياه ولكنه كان يمسح وجهه من

جرّاء الدموع وعندما بلل وجهه اندهش فقد راح الحب العميق مع هطول الماء على وجهه وان الشحنة المعنوية المُزلزلة له قد أذهبت عمق هذا الحب. لابد ان ينتقم منها وان يغوص أكثر فى حب دولت هذا الحب الذى لابد ان يبقى لان الأيام أثبتت أن دولت هى الأقوى وهى الأغنى وهى التى ستستمر.

أدرك مع كل ذلك تياراً يائساً رهيباً أخذه من جذوره حتى انه فكر فى قتل مى، عاد أدراجه ليتحول أطول جماع بينه وبين دولت وأمتع جماع بينه وبينها (بفعل المهدئات والدواء) إلى لقاء غسل به نفسه حتى انه فى النهاية وبعد أن ضاجعها راح يوليها ظهره وتهرب منه الدموع فتروح هى لتحتضنه وتداعبه وتمنيه بمستقبل باهر وتغدق عليه ألفاً من الدولارات.. فى غضون أسبوع كان مجدى يعوم فى بحر من المخدرات المجانية وهكذا نجحت الخطة وهكذا حولت هزيمتها أمام مى إلى يأس مطبق مع مجدى لتنتهز الفرصة لتزرع فى عقله المخدر وإلى الأبد.. فى نفس الوقت كان رد فعل مجدى مع مى مفهوماً، كان الاستهلاك.. كان يعلم ان المدة الباقية لاعلان الفيلم لن تتجاوز الشهر وهكذا فأمامه شهر واحد من أجل أن يأخذ حقه منها فصار ما بينهما من عناق يدوم حتى انه قد أجر شقة مفروشة لهذا

الغرض وصار ما بينهما شذوذاً خالصاً.. كان يريد أن يحولها إلى دولت جديدة خاصة أنه أدرك أنها تتحول إن آجلاً أم عاجلاً إلى دولت فأراد أن يكون له الباع الأكبر فى ذلك، فطارحها الغرام على غرار الدعارة.

تحولت اللقاءات معها إلى لقاءات على غرار لقاءاته مع دولت فسقط من بينهما الحياء وكان هذا مدعاة لان يتحول الحب الى الفتور والجنس الى شذوذ وما هو الا شهر واحد ولسوف يلقنها الدرس الأكبر لا لانها أخطأت فى حق حبهما ولكن لانها باعت نفسها.. دون أن تدرى.. بعشرة آلاف من الجنيهات.. الشيء الذى لم يستطع تفسيره هو كيف انتهت بداخله لوعة وشوقاً بهذه السرعة(؟!).

اكتملت لدولت كل خططها مع عاطف ومى من جهة ومجدى ولبنى من أخرى ومن خلفهم جميعاً ذكرى الشهيد..

* * *

فى العدد الأسبوعى ومن خلال إحدى الصحف المنشورة فى أوروبا خرجت العناوين المثيرة لتصف قصة حب مثيرة بين الأستاذ والأستاذة دولت. تقول التحليلات أن هذا الحب هو القوة الدافعة لاعتزال الأستاذ العمل السياسى لانه محبط خاصة بعد نهاية مبادرته السياسية وهكذا تحقق أن يكون العار، وقد رافق كل ذلك اشاعات جابت مصر

والشرق بأن ابنة الأستاذ الفنانة مى ما هى إلا عاهرة وان ثمنها ألف جنيه فى الليلة وانها ممثلة من الدرجة العاشرة لولا سطوة أبيها وانها ممثلة لافلام الجنس وان هذا الفيلم الجنسى الساخن ما هو الا باكورة أفلامها وهكذا فقد تلطخ الأستاذ وآله بأشد الأحداث سواداً..

قاوم الأستاذ كثيراً، جاءته المكالمات من كل حدب وصوب ما بين اللاعن والمؤيد.. كان اللاعن يلعنه لانه اقترن باللعوب دولت وأن ما هو وكل المعارضة سوى أفاقون يجرون وراء السلطة وكان المؤيد يلتمس أنه أحب ويحمد له أن كل أسرته من المحترمين وأن كفاحه لمدة ثلاثين عاماً لن يذهب أدراج الرياح. المؤيدون راحوا يلومون الأستاذ على سلوك ابنته التى لطخت اسمه فى الوحل. كانت الصدمة قاسية، ردود الفعل رهيبة فقد اعترفت دولت بحبها الكبير لعاطف وانه فارس الفرسان وانه أبوالمعارضة وأنه أحبها وان قرار اعتزاله صادق لان كل شيء فى العالم يسير إلى الفوضى.. كانت بهذا الاعتراف تهدمه وتهدم أسرته بالكامل، كان هذا ما فجّر كريمة.

كانت كريمة هى الحاضر الغائب فى كل ذلك لانها من أسرة ارستقراطية كبيرة وكان رد فعلها رهيباً فقد تأكدت من عاطف الذاهل فى بداية الأمر وكان ردها هو اللارد لان الابنة اختفت فور الاعلان

عن الفيلم إلا من اتصال تليفونى بينها وبين الأب تعلن فيه مسئوليتها عن كل ما حدث وانها ستمحى أثر العار من الدنيا.. راحت تلجأ إلى مجدى فداهمها بمكالمة فاترة واصفاً لها كل شيء (كنت أعلم كل شيء لانك عاهرة.. ولان المرأة عاهرة بطبيعتها.. ومنذ اللحظة التى اكتسحنا فيها الشذوذ فى الشقة المفروشة كنت أعلم، وأن ما فعلناه من شذوذ ما هو إلا الشذوذ الذى رأيتك أنت تفعليه وتمارسيه فى الفيلم الذى وصلنى دون أن تعلمين.. لا تقولى أنك مظلومة.. كنت تؤدين الجنس بمهارة وسخونة مما يدل على أن كل شيء كان برغبتك.. لن نلتقى مرة أخرى.. أنت عاهرة..).. كان هذا آخر شيء جمعهما. لم يكن اليأس يأساً بل كان اليأس ولم يكن ضياع مى ضياعاً بل كان الضياع اقتنعت بأنه لابد أن تجىء النهاية فانتحرت ولكن تم انقاذها عن طريق صديقتها الوحيدة التى أوتها فى المقطم ليكتب لها النجاة من الموت بأعجوبة وليهرع إليها أبوبها وأمها.. كان الموقف رهيباً فالابنة متدهجة الانفاس والاب والأم وهما فى أعلى شقاق. كانت كريمة صاحبة اللارد فى الضياع السحيق ففى ضربة واحدة فقدت كل شيء وكان أشد ما فقدته هو شرف ابنتها ومعه زوجها ومعه تاريخ أسرتها كلها التى لطالما اتهمتها انها متحجرة المشاعر وانها بعيدة كل

البعد عن الزوج وعن الابنة، وهكذا دارت السنين وصدق ما تنبأت به الأسرة بأن أسرتها الخاصة ستضيع.. كانت أنفاس الابنة على غير هدى والاب مع الأم فى نفس الحجرة.. كانت كريمة منهارة تماماً وقد لاقت يومها السابع دون نوم وقد فت فى عضدها ان ابنتها تموت بعد أكبر فضيحة مدوية، وأن زوجها يتغيب عنها وان دولت قد اخترقت كل شيء كل الحجب ودخلت إلى بيتها لتدمره..

- أريد فقط أن أعلم هل أحببتها؟

- ليس هذا هو وقت الحب والحديث عن الحب يا كريمة.

- الصدمة أكبر منى.. كل شيء قد ضاع يا عاطف.. أنا أحبك.. أقسم أحبك ولكننى لا أستطيع التعبير عن مشاعرى.. أنا لست بهذه القسوة ولست بهذا السوء..

- نعم أحببتها.. نعم.. ضاع كل شيء.. نصف قرن من العمل السياسى ضاع وأنا اليوم ملعون من كل فئات الشعب فالنصف يتجهمنى لاننى أحببت دجالة والآخر يتهمنى بالضعف لان ابنتى منحلة.. هناك شيء مخطئ فى حياتنا جميعاً.. لسنا أبناء من حاربوا فى أكتوبر.. كل شيء ينهار.. كل شيء ينزوى.. الجمال يأفل وراء البنايات المنهدمة ويدفن فى زوايا البنايات الفارهة.. كل شيء تحطم.. أنا

أستطيع أن أتحمل فعلى.. أستطيع أن أعتزل السياسة لان الاعتزال هو قرارى وأستطيع أن أواجه المجتمع وأقول له أننى أحببت دولت وأن حياتى الأسرية منهارة ولكن الشيء الذى لا أتصوره أن تكون ابنتى عاهرة.. هذا رهيب ولكنى أريدها أن تعود..

- ليتها تعود.. سأرحل بها إلى ألف مدينة جديدة.. سأجوب بها البلدان.. حتى تنسى.. سأعيد تربيتها من جديد.. كانت تعلم..

- بالحب(؟!!)..

- نعم.. حَمّلُتها أكثر مما تتحمل.. قلبها كان صغيراً.. وارادتها كالجيل كله ضعيفة.. فقدت الثقة بى عندما علمت أننى سأعتزل وأننى أحببت دولت..

- هل عاشرت دولت؟

كان السؤال صعباً وكان على الأستاذ أن يجيبه..

- نعم.

- علِمت؟

- أنا الذى عاهرتها فى الشريط وليس هذا الشاب الفاسق..

- عاطف.. لتعود.. لنرحل من هنا جميعاً.. مصر مكان لا يطاق..

- أين سنرحل يا كريمة(؟!!) هل إلى إسرائيل (؟!!).

- محال..

- مصر هى موطننا وهى أصل الحضارة ويجب أن نعترف أن المجتمع لم يخطئ ولكن هذه هى عادة الناس.. أنا كتبت ثلاثين عاماً.. الانفعال يحكم الناس.. كل الناس حتى أعدائى أشفقوا عليّ وهناك من عرض عليّ أن يتزوج ابنه من ابنتى من أجل كفاح السنين..

- لنعد يا عاطف.. أنا لا أستطيع الاستغناء عنك.. أنا لست بهذا السوء.. ولكن حتى لو عدنا.. سينتظرنا العار إلى الأبد.. الموقف رهيب..

- ستعود مى يا كريمة يا قاسية..

وهنا تبكى كريمة ولا تجد من ردود الفعل إلا أن ترثى فى أحضان عاطف.. الصدمة كانت قاسية وقد أجبرت الصدمة كريمة على مراجعة كل حساباتها، الحقيقة انها كانت قاسية جافة متعالية ولكن الريح الهبوب التى عصفت بعالمها أجبرتها على أن تعيد التفكير.. دولت اخترقت كل الصفوف بأنوثتها لتعصف بأركان بيتها وتخطف عاطف وعاطف منذ زمن طويل وقد باعدها لانها متعجرفة ومى تحولت إلى عاهرة.. كانت مى سعادتها وزهرة عمرها.. وعندما كانت تستمع إلى رأى المعجبين فى ابنتها كان تشعر بالفخار، ابنتها اليوم مجرد عاهرة وبدليل دخل الكثير من بيوت الفاسقين.. فما جدوى

الحياة(؟!!) كادت أن تنتحر هى الأخرى ولكن نضج السنين حال بينها وبين الانتحار.. فى حقيقة الأمر كانت كريمة طيبة ولكنها متعالية وهذا التعالى كان الجدار العالى بينها وبين الناس وهذا الجدار أزاد علوها علواً فمارست الغرور، والآن تحطم الغرور فراحت الى طبيعتها وراحت قبل كل شيء إلى زوجها.. كان عليها أن تصالحه وأن تضمد الجراح.. أما ابنتها فهى العار ولكنها ابنتها ولابد ان تعيش.. ربما تكون قد اخطأت ولكن الله غفور رحيم، وهى قد كتبت على نفسها.. مى .. الموت الحقيقى فانتحرت، ولكن ما جدوى الحياة دون وحيدتها..؟ كان السؤال صعباً هل يمكن لمى ان تعيش فى المجتمع من جديد(؟).

السؤال كان رهيباً وكان يستلزم وقفة شجاعة من أمها ومن أبيها لانها عاقبت نفسها بالموت ولكن الموت ليس كل شيء.. كان على الأب والأم أن يتخذا قراراً وهو أن مى لابد أن تعود إلى الحياة وإلى المجتمع ولو على الهامش لانها يجب ان تعيش لان مى هى زهرة الحياة وان عليهما ان يضمدا الجراح من أجل الحياة فى ذاتها.. منذ أسبوع كانت الدنيا كلها على مصراعيها فى يد الأب ولكن الأستاذ الآن ناضب ناقم لان كل الحلول قد باعدته.. الآن هو الطريد فى عالم السياسة.. صورته مع دولت أصبحت فى متناول الصبيات فى مدارس

ثانوى وفصل مذكراته الوحيد أصبح فى يد أعدائك ليقرروا فى جلسة عاصفة طرده من الحزب.. كل الاعضاء فارقوا بين الخاص والعام وفى لحظة مضيئة من تاريخ الحزب قرر الحزب باعلان إلى كل الجماهير (أن الأستاذ الكبير مازال نبراساً وأنه لن يعتزل).. نعم.. كان قراره عدم الهروب رغم انه كان قد اتخذ القرار بالاعتزال.. الظروف الآن تجبره على عدم الاعتزال.. لابد ان يصمد.. لابد ان يراجع حساباته.. مازال أمداً كبيراً مع الصهيونية مناوئاً.. مازال على المجتمع ان يتعلم الا يذبح بهذه القسوة.. مازال عليه أن يمد يده إلى الجيل وهو فى المحنة الرهيبة.. كان يستطيع أن يفعل كل شيء وبالفعل كتب مقالاً مطولاً شرح فيه الحقيقة واعترف بأنه قد أحب وأنه فكرفى الاعتزال ولكن ليس لان حياته الزوجية ناضبة وليس لانه العار ولكنه لا يريد أن يكون عاملاً ضاغطاً ضد مصر.

وأن المسألة لم تعد الأسعار بل أصبحت مياه النيل وأن المسألة لم تعد الأمن بل أصبحت السد العالى.. وأن الإنسان فى طريقه الطويل قد يخطئ ولكن على المجتمع أن يغفر لان الله يقبل الغفران وان المجتمع عليه أن يسامح ابنته وان يمد يده إليها وانها قد أخطأت فى لحظة ضعف ولكنها ليست الداعرة المتمرسة فى الدعارة، وانها

جزء من الجيل وان الجيل استهلك حرب أكتوبر، وعليه أن يكون بمثل الجيل السابق صلباً وقوياً.. (أستحلفكم بالله أن تمدوا لها يد العون لانها خاطئة وليست داعرة.. وأنها قررت الموت، فإن قدّر الله لها الحياة فلا تكونوا المقصلة ضد عنقها الرقيق ولتقدروا ان أبا يقول للمجتمع كله بعد ثلاثين عاماً ان ابنته قد أخطأت وانه يعترف على رؤوس الأشهاد بذلك لانها قد حكمت على نفسها بالموت ولان المجتمع قد حكم عليها بالموت ولان الموت هو ما تستحقه ولكنها ان نجت فلن يفرط فيها ابوها ولتبقى هكذا صامتةً فى الحياة حتى يجيئها الأجل ومن كان منكم بلا خطيئة ليرمنا بالحجر).. كان للمقال دوّى هائل أسكت العالم فهذه هى المرة الأولى التى تحدث فيها مثل هذا الاعتراف والذى من خلاله تنتهى حياة انسانة.. المقال كان الجسر للأب لانه كان قادراً على ان يمد لنفسه الجسر ولكن الأب أراد أن يعدم ابنته هو.. ان يقتلها اجتماعياً هو.. أراد لها سداً لكل شيء وعليها أ تجد لها طريقاً جديدة من أجل الحياة.. كان الأب قد دبر لكل شيء كان قد دبر لابنته هجرة إلى كندا لدى بعض الأقارب. دبر لحياة جديدة فى مجتمع جديد لا يعرف عنها شيئاً وإلى الأبد فى مقابل أن يفوز هو بالحياة لها.. الحياة بمعنى الحياة أى التنفس فى

حد ذلك..

الموقف كان عصيباً وقد أدرك منه أولاً أن ابنته قد ظفرت بالحياة مرة أخرى ولن يفرط فى ذلك ما عاش وانها وان اخطأت فان الشريعة حتى لا تقضى فيها بالموت ولكنها أماتت نفسها، ولابد ان تعود إلى التنفس بهذا الكيف الجديد وثانياً أن كريمة قد كُسرت وتحطمت وان عليها ان تعيد كل حساباتها وان الحب بينهما يعود كما كان أولى سنوات الزواج.. وقد استشعر هذا عندما أخذها بين يديه.. قال لها مرحباً العودة، ثالثاً أدرك أنه وهو الأستاذ قد راح فى صفقة كبرى مع سميح أيضاً (كان هذا هو قدري).. هكذا قال (لأننى لا أستطيع أن أعيش وسط الدبابير ولا ألدغ) أدرك بحدسه الفريد ان المياه قد عادت بينهما سميح ودولت وان أول ضحية كان هو.. أدرك أنها عاهرة وان الأستاذ ليس له الخبرة الكافية ليحب وان الحب القديم قد عاوده حنيناً وشوقاً وهكذا فقد باعته دولت.. الأستاذ أخذ يضحك ويتساءل كيف يحب عاهرة.. تأكد هو من حبها له.. أدرك الأستاذ الكبير ان ابنته كانت هى الأخرى الوقود الذى اشتعل ضده أدرك أن الخطة كانت محكمة وان الأستاذ نفسه كان ضحيتها وان دولت قد سربت إلى سميح الفصل المذكراتى مع الصورة مما اضطره

إلى الاعتراف وان سميح قد أغرى ابنته بالمال فى مقابل البطولة وانهم قد صوروها خلسة وان هذا اخطبوط الشر وعليه ان يصمد.. الاستاذ صمد لانه لم يبع شرفه مثل ابنته ولانه كان له تاريخاً طويلاً ولانه يملك من الموقف القوى ما صوغ له أن يعيد حساباته ويباعد عن الاعتزال ويمارس السياسة مثل كل وقت مضى وها هو يكسب حطاماً الا وهو حياة ابنته التى سوف ترحل إلى كندا ويكسب زوجه ويكسب قلمه ويكسب جزءاً كبيراً من دوره السياسى ولكن عليه أن يواجه العاهرة دولت.. كان الموقف ايذاناً ببداية جديدة.. ورغم كل الآلام ألا أن الأستاذ قد ابتسم إلى كريمة المحطمة، بداية معك لا مع العاهرة.. وهنا بادلته ابتسامة باهتة. فى نفس اللحظة استفاقت الابنة.. كان ينوى الذهاب إلى دولت ولكن استفاقة الابنة أجلت الزيارة ساعة.. لم تمر سوى نصف ساعة حتى كانت الابنة فى بحر من الدموع وهى تردد (خاطئة .. خاطئة).. انتظر الأب حتى جالت ببصرها إليه (سامحني).. بكى الأب فى صمت مطبق..

- أنا بابا يا مى

وهنا هتفت كريمة.. حياة جديدة..

- خاطئة..

- بابا يقول لك.. الله يغفر الذنوب جيميعاً يا مى..

كانت الابنة تريد الحياة.. كان تريد بداية جديدة من كل حياتها المليئة إلى حد كبير بالقذارة عدا أدوارها البريئة التى مثلتها.. كانت تريد ان تقول شيئاً ما هو الحقيقة..

- كان الشريط رغماً عنى يا بابا.. خدعونى.. تذكرت الآن كل شيء.. كان الإغراء بالبطولة.. البطولة التى لطالما راودتنى.. تذكرت الآن لماذا أصر المنتج على ذلك، لم يكن المنتج ولكن شخصية قميئة قابلتنى.. بابا.. كنت ساعتها أحب.. كان هو الأول.. وكان الشاب الذى لا أعرف إلا أن اسمه رامى هو الثانى.. أنا خاطئة.. كنت أبحث عن الحب وقد أخذتنى الحياة إلى العار.. أنما قضيت عليك..

وهنا هتفت كريمة..

- الأستاذ لا يقضى عليه يا مى..

وهنا صرخ الأستاذ فى أمل بعد أن تقوفت دموع مى..

- مى.. أنا رجعت إلى الحزب والسياسة.. ميّ هناك عار فى كل حياتنا.. هناك خطأ فى كل حياتنا.. الفوضى تعم العالم ونحن جزء من العالم.. أنا أخطأت عندما أحببت عاهرة.. دولت عاهرة وستظل عاهرة..

- أنا قلت لك ذلك فيما مضى يا أبى..

- أنت كنت جزء من لعبة قذرة شنوها ضدى.. سميح كان وراء كل شيء.. مى أنا الآ أتحرر.. أعود إلى شبابى.. لقد اعترفت بكل شيء إلى الجماهير.. وصلتنى الاف الخطابات استحلفونى بالا أترك المعارضة، هناك الكثير من الوزراء من جاءوا إليّ وطلبوا منى الا أغادر موقعى فى المعارضة.. مى الحياة لابد أن تعود.. أبوك سيعود إلى موقعه وقد فارق المعلونة وأنت سوف تسافرين إلى كندا، ستعيشين فى مجتمع جديد فى عالم جديد ولسوف تجيدين الانجليزية من أجل أن تمثلين بالانجليزية وعندما تعودين بعد عقد أو اثنين سينسى الناس كل ذلك لان المجتمع يتغير وما هو ساخن اليوم بارد غداً..

- أنا لن أسافر يا أبى..

- كريمة. لماذا؟

- أنا قوية يا أبى.. مى قوية.. أنا أعرف أننى مازلت عاراً لك.. أنا لا أريد أن أتزوج.. لن أسافر إلى كندا.. أنا عنيدة.. وقوية ولسوف أعاود التمثيل..

- عاطف. المجتمع لن يتقبلك يا مى..

- أعلم ذلك.. المجتمع لن يتقبلى ولكن طالما أن المجتمع قد تقبلك فكل شيء يسير فى الاتجاه الطبيعى.. أنا أحب مصر.. ولن

أعيش الا فى مصر.. دعنى يا أبى أداوى عارى.. ما زال فى الفيلم النصف والعقد يحتم عليّ أن أعمل وأن أمثل.. الناس لن تتقبلنى ولكن فى هذه الحالة سوف أعمل عملاً آخر.. أنا أصبحت موضوعية أكثر يا أبى كنت دائماً تقول فى ندواتك ان الفارق بين الغرب أنه موضوعى والشرق أنه غير موضوعى.. الفن علمنى أن أكون موضوعية والحب علمنى كذلك ألا أحب.. والعار أسلمنى إلى الموت ومواجهة الموت علمتنى أن أكون موضوعية.. لاننى أصبحت على وشك أن أقابل الله.. وأنا مريضة بالعار وأنا كدت أموت لهذا فأنا ولدت من جديد.. أنا من الجيل الجديد.. والجيل كله فيه الضعف والقوة.. الحب خذلنى والحياة خذلتنى لاننى خذلت نفسى وفرطت فى شرفى وأنا أعترف بين يديك بعد أن أعترفت بين يدى الخالق عز وجل فى الصلاة.. سأقاوم يا أبى.. لا تحرمنى من هذه القدرة.. أنا أعلم أن الناس لا ترحم والمجتمع لا يسماح الفاسق ولكن سيكون هذا الفيلم آخر أعمالى ولسوف أواجه المجتمع ولسوف أواجه ألف نظرة تحتقرنى ولكنى فى النهاية لن أنعزل بسهولة.. سأقاوم لانها حياتى..

لم يجد الأب من الكلمات ما يقوله ولكنه أجهش بالبكاء فقد كان عديم الثقة بالجيل الجديد وها هى ابنته المحسوبة من الجيل الجديد

وهى على فراش الموت تثبت له أن ثمة قوةً وعناداً فى هذا الجيل.

* * *

كان آخر ما لدى الأستاذ هو مواجهة دولت تهربت منه طوال الشهر الماضى ولكنه فى هذه الليلة أمكن منها..

- كان لابد أن نلتقى..

- لابد..

- لم يكن حباً..

- كان حباً.. أتى عليّ..

- تمثلين..

- مبروك.. مى قامت بالسلامة..

- لم يكن حباً.. كان عشقاً مدوياً..

- لماذا جئت؟.. أنت كلمتنى عدة مرات.. نعم أحببتك والحب ضعف.. وسميح عاد إليّ وكنت صفقة رابحة..

- الأستاذ تعلم على يديك الكثير.. تعلم ألا يهين صورته وألا يفرط فى أيٍّ مما يكتبه لأى أحد..

- لم أكن فى ذلك الوقت أى أحد..

- أنا جئت من أجل صورتى..

- فى أوروبا..

- التى تفرط فى شرفها تفرط فى صور المحبين..

- ابنتك أيضاً عاهرة..

- أنا جئت من أجل ذلك فقط.. من أجل أن أقول لك أنك عاهرة.. مجرد عاهرة.. وأنك النقطة السوداء الأولى فى حياتى وابنتى هى الثانية.. ولكن هناك فارق بين ابنتى وبينك.. انها ستقاوم العهر..

- أنت أب فاشل..

- حقيقة، ولكن المفارقة انها تجيئ عن طريقك..

- مى قوية.. برافو أنها نجحت وستقاوم ولكنها ستحاصر لان سميح لن يتركها..

- ليفعل ما يشاء.. كل ما أريد قوله أنك عاهرة..

* * *

كانت الأخبار تملأ كل الصحف بخاصة الصفراء منها أن مى ستعود إلى التمثيل وأنها حريصة على الا تترك مصر وكان لهذا وقع الصدمة على دولت الاستاذ عاطف خرج من الصدمة قوياً ولكن مترنحاً ومى ستعود إلى البطولة فعاودها من بعد النشوة أمارات زوال الدنيا فى كيانها فراحت مع عشاقها تمضى الليالى الحمراء خاصة بعد أن

راح عنها رواد الدعارة المنظمة بعد أن مارس سميح نفوذه معها فى هذا المضمار. راحت تغمس نفسها فى نفوذ من أجل القناة الفضائية كمالك لا كمديرة ولكن الصعوبات كانت جمة فراحت تنافس كبار رجال الأعمال فى صفقات شتى حتى قادها ذلك إلى صفقتين أنفقت فيهما نصف ما تملك. كل ذلك لم يأخذها إلى السعادة حتى وإن تملكت مجدى الطبيب الذى راح من فرط حزنه على حبه أن ينهب الهيروين نهباً فراحت مع البواب تمارس معه أفحش أنواع الفجور ذاك الفجور الذى لا يمهد إلا بالاهانة وتلك الاهانة التى لا تمهد الا بأن يبول على الاستاذة دولت فتروح نفسها تقول (خلاص اتذليت)..

وقع الخبر كان عنيفاً على مجدى، كانت مى عائدة ولو من طرف خفى إلى المجتمع.. أخذه الحنين إليها وبعد صراع دام أسبوع كامل حملته قدماه إلى أن يذهب إليها فى المستشفى.. منذ أول وهلة عرفه عاطف وهتف فى نفسه الحبيب.. كان مجدى فى حالة رهيبةمن الاحباط وكان يريد أن يلتمس معها بعض الحنين.. أدرك أبعاد الموقف والتمس أن يكون سميح قد دس اليها بضغوط بعض الشباب فانخرطت فى الدعارة ولكن كل هذا لا يشفع لها وهنا أدركه التساؤل (لماذا تذهب إليها؟) لم يكن الا تفسيراً واحداً أن الحب الكبير

الذى بينهما لم يمت وأن الحنين اليها رغم كل ذلك لا يزال سارياً.. مجدى ذهب إليها مريضاً باليأس والقنوط رغم أنه أخيراً وصل إلى وظيفة مندوب بإحدى الشركات العالمية للدواء وكل مديريه توقعواً له.. وهو صاحب هذه الروح.. مستقبلاً زاهراً.. نعم.. ذهب اليها مريضاً بالحب وقد كان إلحاحه أن يراها ولكن الاستقبال كان فاتراً.. أدرك الأب المسألة وبنظرة واحدة أدركت كريمة انه الحب وهكذا تركا الحجرة إليهما.. كان الصمت هو ثالثهما.. جلس دون أن ينبس بكلمة.. أدمعا تواجها وبعد دقيقة واحدة قالتها فى عصبية وراحت تبكى.. قالت (أنت كلب).. كانت مى تريد نسيان الماضى كله.. كانت تريد إهالة التراب على عقدين ونصف من السراب اللهم الا قليلاً.. الحياةا لأسرية الكريهة، الأب الضائع، الأم القاسية.. الحب العاهر الشرك.. الحياة الواهمة.. الفن الصعب.. الدنيا باسرها كانت لديها كريهة لان الصدمات كانت تتراً والكل تخلى عنها ما عدا الأب الأستاذ عاطف. خرجت من ذلك كله بالحد الأدنى، بالأسرة الضعيفة وبطولة فيلم أخير وبألف ألف نظرة من كل حدب وصوب وبألف صحفى يريد أن يلتقط بكاميرته وبقلمه الدموع الدامية من عينيها من أجل أن تتسع الفضيحة ويزداد التوزيع، ومع كل ذلك لن يكون هناك

الحب الماضى.. كل شيء هلك ولابد من مقاومة هذا الحب الذى اقتطع منها البكارة واسلمها الى الضياع، هذا الحب المقدس لابد من بتر ما تبقى منه لتعيش حياة جديدة كأنها مريم البتول لانها بالطبع لن تتزوج لانها العار. كل ذلك الألم تجسد عندما رأته، وهكدا كان لابد ان تكون حاسمة وقالتها (أنت خائن) لتنهى كل شيء، وبالفعل ما هى إلا لحظات حتى استدار ورحل، عندما تواجه مع الأب أدرك الأ أنه ليس بهذا السوء ولكنه مهزوم فأشفق عليه فان كانت ابنته عاراً لانها انثى فهو أيضاً (أى الزائر) عار لانه ليس بمقدار الموقف وربما كما أدرك عاطف.. يكون مهزوماً مغتصباً من امرأة.

الحقيقة أن مجدى كان على حافة الهاوية فقد كان ضائعا لا يصدق أنه فقد الحب الكبير ولا يصدق أنه لن يلتقى مرة أخرى بحبه لا مقابلة ولا تحت الميثاق الغليظ لانه ليس على استعداد أن يضحى ويتزوجها لانها أعطت جسدها إلى غيره وفى مقابل المال، إذن فقد ضاع حنينه الكبير وحبه العظيم وارتوائه الفخيم وأحلامه الصاعدة التى قضّاها معها وكل ابتسامة ويوم وليلة ومكالمة بل كل تفاصيل الحياة الجميلة مع أحب انسانة له فى الوجود كلها ضاعت وان البديل هو الرهيبة دولت التى احتوته فى جنس خالص لا توبة

معه ولا طهارة، كله الشذوذ..

بعد كل ذلك أصبح مدمناً وهو كطبيب يعلم معنى ذلك انها النهاية وانها موت الارادة خاصة أن دولت لا تجد لهذا بديلاً وهو لا يريد أن يغضبها لانها تغدق عليه من الدولارات ما لا يمكن عده.. انتهى به كل ذلك إلى كلمة واحدة قالها سراً كرد على كلمة كلب من مى قال (النهاية).

بعد ساعة كان لدى دولت، استمع إلى محاضرة طويلة فى فن الدعاية والاعلام ولكن مجدى كان فى واد آخر.. لأول مرة منذ أن تعرف على دولت تداهمه صورة خاله الشهيد مجدى فابتسم واسند ظهره إلى المقعد وتمنى فى لحظة نورانية أن يكون مثله ولكن كيف(؟!!) ثم عقد مقارنة بينه وبين الشهيد فلم يجد أن ثمة فارقاً كبيراً بينهما فى القوة ولكن شتان بين الاثنين كان يريد أن يسأل دولت كما سمع من أمه ذات مرة (هل أحببت خالى من قبل؟) ولكن ضياعه السحيق منعه من مجرد التساؤل عن شيء قد يغضب دولت وعندما دار ببصره وجد باب الحجرة مفتوحاً فأدرك أن المسألة لا تعدو ربع الساعة ويغوص فيها فأراد أن يغيب عن الوعى بعض الشيء فراح الى الهيروين يغترف منه ليتقوى فما هى الا دقيقة واسلم روحه لله

لان مجدى أزاد الجرعة الى الحد غير المسموح به. فى البداية لم تصدق دولت ما حدث اكتشفت على الفور ان تنفسه قد توقف وما هى الا ربع الساعة حتى أدركت أنه مات.. دهمتها نوبة هيستيرية من الضحك وهى تردد (مات.. مجدى مات.. مات هو الآخر.. كل شيء هالك.. كل شيء هالك).. أخذتها المفاجأة فقد أفلت الأستاذ عاطف والخطة أعادته إلى الحياة السياسية كسيراً، ومى لم تمت ولسوف – من وجهة نظرها – ينسى الناس عهرها، وها هو مجدى يموت ولكن فى بيتها من أجل أن يثبت فيها وعندها فعلاً جنائياً.. فماذا تفعل؟ كانت تريده شبحاً هزيلاً ممسوخاً مع أمه إلى الأبد ولكن هذه النتيجة تُحملها ما لا تطيق. فى سرعة أدركت أن الجثة لابد أن تختفى تفجرت بد اخلها أمارات الشر، كان يمكن ان تقول أنه مدمن وانه قد جاء إليها معوزاً وانها لا ترتبط به من أى نوع من الروابط ورغم ان ذلك كان سيؤلب عليها بعض المسئولية الجنائية.. كل شيء كان واضحاً، أبعدت عن نفسها شبح المساءلة الجنائية والفضيحة رغم ان هذا كان الطريق القويم.. الموقف أسلمها إلى شر داهم، قررت أن تمزق الجثة، أن تخفيها.. عندما داهمتها الفكرة لم تستسيغها أولاً ولكنها ما لبثت أن أعجبت بها، فأجلبت الساطور وقطعت الجثة إلى أشلاء ثم وضعتها

فى أكياس سوداء.. الضربة أخذت منها ثمانية ساعات وفى نهاية العمل أخذت بضع الأكياس وقذفت بها فى النيل وقد أخذ هذا منها ثلاثة أيام.. وعندما انهت المسألة قالت فى تشفٍ (قتلت)...

* * *

ذهب عقل لبنى وطاردت دولت فى كل مكان من أجل أن تساعدها فى العثور على ابنها كصديقة وبالفعل ساعدتها فى ذلك كثيراً وعندما علمت الشرطة أدرك عاطف أن الشاب قد انتحر وكأستاذ فى العلاج بالصدمات أجلب صورته فى الجريدة إلى مى..

- غائب..

- مات.

- كيف تعلمين؟

- أنا أعرف..

- الحب..

- الذى كان.. لا شك أنه انتحر..

- كان مهزوماً..

- خاين..

- كان مهزوماً..

طول عاطف الجريدة وابتسم لابنته ثم ربت على كتفها وقال.. لم يكن سيئاً إلى هذه الدرجة..

دق جرس الباب بيد مرتعشة.. كان سميح قاصداً دولت وقد بدت على وجهه أمارات النهاية.. كانت ثملة.. ما أن دخل اليها حتى ترنح فقد كان ثملاً هو الآخر، كان متوتراً ذاهلاً يتمتم بكلمات أجنبية لم تفهمها دولت.. كان من الواضح ان كلاهما يعانى الضعف الشديد.. راودها عن نفسها ولكنها رفضت فما كان منه الا ان عاود سيرته معها ليغتصبها. أخذ يصفعها ويمزق ملابسها.. كان وحشا هائجاً رهيباً لم تتحمله وتحت قسوة الضربات رضخت.. كانت ممزقة الثياب ثملة وكان يلملم ملابسه مبعثراً آلاف الدولارات صائحاً..

- كل ذلك لا يستطيع أن يشترى الحياة..

- الحياة لا تباع ولا تشترى..

- دولت.. دعينى أقول لك كلمة واحدة.. آيدز..

- ماذا تقصد..(؟!!)..

وهنا ضحك ساخراً يائساً.. أنا مصاب بالإيدز علمت ذلك منذ ثلاثة أيام.. انتهيت.. بعد عام أو اثنين أو حتى خمسة سأكون معرضاً لأغرب الأمراض.. انتهيت وأنت انتهيت معى..

داهمتها نوبة من الضحك اليائس.. صاحت..

- كل شيء هالك الا وجهه..

- هذا هو أوان الوعظ فعلاً.. ولكنى أود أن أقول لك شيئاً.. أنا تأكدت بعشرة تحاليل أننى مصاب بالإيدز وعندما أخذت منك عينة من الدم منذ يومين كان لاطمئن أنك أيضاً مريضة وأنا أطمئنك لقد كنت مريضة مثلى وأنا باغتصابك الان أود فقط أن أؤكد لك ذلك.. خذى هذا هو ورق التحاليل..

وعلى الفور انقضت على الورق فقرأته فى سرعة..

صاح..

- ربما أنجح فى عدم عزلى.. ربما أنجح فى الرحيل عن مصر ولكنها النهاية.. أنا دمرت السوق كله.. أصدرت أوامرى المدمرة بالغلاء وإفلاس على الأقل خمسين رجل أعمال واقترضت حتى الآن ثلاثة مليارات من الدولارات ولسوف أهرب، لابد من تدمير العالم.. سميح لا ينتهى هكذا أبداً.. ضاجعت عشرين امرأة حتى الآن ولسوف أضاجع كل المشاع من الرجال والنساء لانشر المرض فى كل الربوع سميح لا ينتهى هكذا أبداً.. وأنت دمرتك.. كنت سأدمرك سأدمرك.. شققك الأربعة أشتعلت فيها النيران وأصبحت أثراً بعد عين.. لن

تستطيعين الترخيص للقناة الفضائية.. صفقاتك فشلت أو أفشلتها وتمت الخسارة بصفقات أقل فى الأسعار بخسارة منى ولكن لكى أدمرك وأنا أخيراً من جفف عنك الدعارة المنظمة ومنذ ثلاثة أيام والوسط كله وكل الصحفيين أصبحوا يعلمون أنك مريضة بالإيدز.. دولت هيا انتهى.. لانك لابد أن تنتهيين على الاقل عندما ينتهى سميح لابد ان ينتهى كل عالمه..

- لا يمكن أن تجيئ النهاية هكذا..

- لا يمكن الا ان تجيئ النهاية هكذا.. ايدز.. موت.. دمار.. سرطان.. افلاس.. جنون.. نهاية أليمة..

- مستحقة..

- دمرتك..

كان سميح يترنح.. كان يزدرد الخمر بجنون وهو يصيح (النهاية.. النهاية.. أصبت منذ شهر فقط.. الموت.. الموت.. الموت.. الموت).. لم تصدق من هول المفاجأة ما يقوله فراحت تضحك وهى تتخيل العزل والامه والفضيحة وآلامها.. كانت تدرك فى سميح السطوة وانه صادق، كانت تتوقع النهاية بحدسها ولكنها لم تكن تتوقع ان تكون النهاية بمثل هذا الفحش والالم وقد كانت دقيقة حتى ذهب سميح عنها

للمرة الأخيرة نحو المطار وقد حوّل ملايين الدولارات بل ملياراتها إلى الخارج.. كان الصمت الرهيب.. الخمر.. داهمتها أجراس المسرة كلها تخبرها من الجيران والخادمات بأن شققها كلها حرقت حتى مكتبها هو الآخر ولاحقتها أجراس المسرة من الأسواق تبشرها بخسائرها الفادحة وكلهم قالوا إن سميح قد خسر من أجل أن يطيح بها.. كان السواد يأكلها وطاقة شرها تأكل كل ما بقى لديها.. مرت على كل الجدران ذليلة مهانة حتى دخلت مكتبها.. ترنحت، حاولت أن تمسك بمكتبها حتى لا تقع أرضاً فأطاحت بكل الصور وساعتها رأت صورة ابنها ودارت بعينها إلى المكتبة لترى صورة مجدى الشهيد مندسة بين الكتب.. ضحكت ذاهلة (إيدز؟!!!.. موت.. دمار.. أشلاء.. كل شيء هالك الا وجهه.. كنت أعلم أن نهايتى رهيبة.. أنا أخسر كل شيء.. ممتلكاتى.. مالى.. دعارتى.. إيدز؟!!!.. النهاية.. النهاية يا دولت.. النهاية.. ستلحقين فى قاع النيل بمجدى.. ستعيش لبنى وتموتين أنت؟!!.. كل شيء هالك إلا وجهه) لم تصدق من الوالج.. أخيراً جاء.. كان ابنها.. المعامل الخفى فى شخصيتها جاء أخيراً متدثراً، لان الزمهرير رهيب، فى بالطو أنيق.. كان باكياً..

- أنت (؟!!) مجدى.. ابنى.. تبكى.. لا .. لاتبكى.. أنا أعرف لماذا

جئت.. أنت لا تجيئ إلا عندما تدرك أننى فى خطر داهم..

- أمى..

- أنا قوية..

- إيدز(؟!!).. الحرام.. الحرام.. الحرام..

- لا.. أنا قوية.. أنا لا يؤثر فىّ فيروس حقير..

- أماه.. لابد ان تتحملى بشجاعة.. أنا قدمت إليك من أجل بداية إلى النهاية المحتومة.. سميح قابلنى وصارحنى بالحقيقة بنفسه وأن هذا جزاء عادل..

- أنت طاهر.. أنا نجسة..

خرجت من المكتب مترنحة.. رفضت ان يلمسها.. (أنا قوية) دخلت إلى غرفة النوم لاحقها.. (لا تقترب.. ستموت.. هذه حياتى.. هذه حياتى أنا وأنا من أقرر كيف أحياها منذ نعومة أظافرى وأنا عاهرة.. هذه إرادتى يا مجدى.. لا تتعجب.. لا تندهش.. لا تتألم.. هذه هى حياتى.. الفسق.. الفجور.. أفلام الجنس.. ما تسميه الزنا ولكنها المتعة.. تكلمنا كثيراً من قبل عن كل ذلك ولكنه اختيارى أنا.. هذا هو سوادى.. هذا هو ظلامى.. هذه هى نفسى.. وهذا هو الله.. الله هناك على العرش العظيم.. فوق سع سماوات.. وأنا هنا.. شريدة.. الله

يرانى ولكنى لا أراه.. أشعر فى بعض الأحيان أن الله يرأف بى ويحبنى ويشفق عليّ من العذاب ولكنى أطالبه بأن يعذبنى أشد العذاب وبأن يسلكنى فى سقر لاننى لم أكن أؤمن بالله العظيم).. راحت الى التلفاز وبعدة ضغوط راح التلفاز يبث فيلماً جنسياً.. (مجدى.. هذه هى حياتى.. الدعارة المنظمة.. المهاد.. الرجال.. المتعة.. أنا خسرت كل شيء.. الايام كانت تمضى سريعة ولم أتوقع أبداً أن أصل إلى الخمسين ولكنى وصلت.. الأيام أسرع من الضوء وكل شيء هالك الا وجهه.. مجدى.. هذه هى المتعة.. أنا أمك.. هيا.. أنا جميلة.. هيا إلى أمك.. المشاع.. أنا أولى بك من النساء.. من كل النساء.. هل تزوجت(؟!!!) حتى وإن تزوجت فأنا لى حق بك).. وما هى إلا ثوانى حتى خلعت ملابسها.. كانت دموعه فيضاً.. أدرك فيها النهاية..

- أنت لست مجنونة..
- النهاية..
- أنت تعلمين أنك أمى وتتعرين أمامى..
- عهر.. أنا أولى بك..
- وتعلمين أنك الإيدز وتريدين قتلى..
- الموت هو بداية لقيان الله.. أنا أريد أن أبعثك إلى الله..

- أنت شريرة..

- هى النهاية..

- أمى.. الإيدز هو النهاية ولكنه النهاية التدريجية لن تكون النهاية الآن.. ربما بعد سنوات..

- أنت تخدعنى..

- المسألة غير معروفة ولكن هناك أمل فى حياة أفضل..

- ضاجعنى..

- أنت شريرة.. أنت عارى.. الوداع.. ما هى إلا أيام وتعزلين.. لانك عاهرة وموصومة بالعهر.. وشخصية عامة ولسوف يضرب حولك ألف سور لمنع تدمير العالم.. الوداع..

* * *

وهكذا سقطت البؤرة الأخيرة التى كانت تربطها بالطهارة..

- عاق.. أنت عاق.. لن يذهب عالمى ما حييت.. أنا باقية.. باقية على مر الزمان..

كانت قد وصلت إلى النهاية.. القوة الدافعة للحياة انتهت ذهب عنها العهر لانها مريضة بالايدز وذهبت عنها الشهرة والسلوة والمال، وبعد كل ذلك سولت نفسها ان تقتل ابنها فى مهد من حرام.. انفجر

بركان الشر والتحطيم بداخلها ولكن المرارة التى اكتسحتها هى انها لم تستطيع فعل شيء أمام الله.. كانت بعيدة عن الله ولم تستطع فعل شيء أمام الله خاصة أن نهايتها قد جاءت بحرب من الله عن طريق فيروس الإيدز الذى أسمته فى يوم من الأيام إنه اللعنة شعرت من داخلها بمرارة الهزيمة أمام الله وهذا ما أزاد حنقها.. وعندما وصلت ذروة نفسها إلى الشر تملكتها الرغبة الحقيقية فى أن تضاجع ابنها من أجل ان ترشف شبابه ومن أن تقتله وكان هذا هو قمة وصولها إلى الظلام فماذا بقى منها تعيش به بعد أن تحولت إلى أم تريد قتل ابنها وهو فى ريعان الشباب أشد القتل.. وماذا بقى من ظلامها بعد ان استولت عليها العزلة ولسوف يسلمها الايدز الى فضيحة مدوية وعزلة اجبارية وماذا بقى من مالها بعد أن ترنح معظمه وماذا بقى من شرها بعد أن حوصر وهزم؟ وهكذا استولى عليها الظلام واليأس ونفسياً اللاشعور وهكذا تمكن منها الاحباط فاذا بالاحباط يسلمها الى الضياع فقارنت نفسها بكل من تعلمهم فاذا بها فى ضياع سحيق وهنا رنت فى اذنيها كلمات مجدى الشهيد بانها سائرة الى الضياع، ولكنها فى هذه اللحظات لم تكن تريد سماع أى شيء لانها وصلت إلى ذروة الظلام والشر والضياع فاذا بها قوة تدميرية رهيبة فى كل الاتجاهات.. كان الموت يبزغ لها فسطعت

فى ذاتها فكرة ان تبادره هى فاذا بها ترتاح وكأنها وجدت الفكرة التى بها تستريح من عبء خمسة عقود.. راحت تحطم البقية الباقية من حياتها فراحت تحطم الشقة الفاخرة الكائنة بالدور الثامن وهى تردد فى ثورة رهيبة (قذرة.. عشت قذرة ومت قذرة.. هزائم.. هزائم..) وما هى الا دقائق الا وقد أتت على كل أثاث الشقة حتى دخلت المكتب فاصطدمت بصورة الشهيد فأحرقتها واصطدمت بصورة ابنها فحطمتها ولاقت صورة الطبيب وهى الصورة الوحيدة التى أهداها اليها فاذا بها تتذكر القضية وعلى الفور امسكت بالقلم وكتبت فى خط واضح (أنا من قتلت مجدى الطبيب) وعندما أكملت العبارة داهمتها صورة أبيها وأمها، احتضنتهما فى شدة وأدمعت فيضاً من الدموع وقالتها فى أسى (الحنان.. لم أجد بعد كما الحنان.. لم أجد بعدك يا أمى إلا الوحدة والعذاب.. أنا قادمة إليك.. لم يعد فى حياتى شيء محترم أعيش من أجله) ثم أخذت تحطم المكتب.. الصيت.. الشهرة.. الجمال.. والخيال.. وبعد أن أتمت مهمتها بتدمير شقتها الأخيرة راحت فى عزم أكيد نحو النافذة لتلقى نفسها منها فترتطم بالشارع لتموت على الفور..

ما هى الا لحظات حتى تجمع الناس إلى العارية المنتحرة والهمهمات تسود (هذه هى دولت.. انتحرت.. تستحق.. يقولون إن

عندها الإيدز؟!!.. الاغنياء لا يصابون بالايدز.. عارية.) الزمهرير كان شديداً والبواب كان شريداً فقد ماتت ولية نعمته فلم يتمالك نفسه من فرط الصدمة فاذا به يبول على نفسه صائحاً (ماتت الست) فاذا بالبول يتحول إلى بركة آسنة يغرق فيها وجهها الدامى والذى خلفه رأس مفتتة.. تصادف مرور الاستاذ عاطف ماراً إلى داره بالسيارة ومعه ابنته التى تواً قد سمح لها الاطباء بالخروج وقد تدثرت فى كثير من الثياب.. لاحظ الاستاذ الزحام فشق طريقه هو وأسرته فاذا بهم أمام الجثة.. صاح الأستاذ إلى كريمة.. دولت.. وعندها قالت مى.. كنت أعلم أنها النهاية.. وهتفت كريمة حزينة.. إيدز.. وجنون.. وانتحار..

خلع الأستاذ الباطلو الأسود وداري به الجسد البغى العارى وقال فى هدوء باكياً (مسكينة).. من بعيد وقف أسامة مضطرباً يدخن سيجارته فى عصبية فقد احتال على البنك وسمح لسميح بنهب المال العام ولم يكن يعلم ان سميح سيسافر إلى الخارج دون عودة.. الصمت كان يلف المكان إلا من صوت الاسعاف الذى جاء على عجل.. مى كانت تبكى..

انتهت

٢٠٠٣/٣/٢٨م